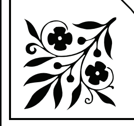


الأصل الثالث

الإيمان بالكتب السماوية







الإيمان بالكتب السماوية

عباد الله!

قلنا فيما سبق أن العقيدة الصحيحة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وقد تكلمنا عن الأصل الأول من أصول العقيدة وهو الإيمان بالله، وعن الأصل الثاني وهو الإيمان بالملائكة، وقلنا: إن عالم الملائكة عالم غيبي نؤمن به ولا نراه، وتكلمنا أيضاً عن عالم الجن والشياطين، وقلنا أنه عالم غيبي نؤمن به ولا نراه.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الأصل الثالث من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالكتب السماوية.

إخوة الإسلام: الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان. لأن الله ﷻ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ قال لجبريل ﵇ عندما سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

عباد الله: والكفر بالكتب السماوية أو إنكارها أو إنكار واحدٍ منها، كفر بالله تعالى وضلال بعيد؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]. فالكفر بالكتب السماوية، كفر بالله تعالى وضلال بعيد.

عباد الله: أنزل الله تعالى آدم وحواء وإبليس إلى هذه الأرض ليعيشوا فيها إلى حين بعضهم لبعض عدو، فأنزل الله تعالى الكتب السماوية على أنبيائه ورسله؛ ليبيّن للناس طريق الحق وطريق الضلال، طريق الجنة وطريق النار، طريق الخير وطريق الشر، ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيا من حيّ عن بينة.

فاسمعوا هذه التوجيهات الإلهية إلى بني آدم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله: وإيماننا بالكتب السماوية يكون على وجه الإجمال بأن نؤمن بكل الكتب السماوية ما علمنا منها وما لم نعلم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]. فيجب علينا أن نؤمن بكل الكتب السماوية.

كذلك ـ يا عباد الله ـ من إيماننا بالكتب السماوية أن نؤمن بما ذكر لنا في القرآن عن صحف إبراهيم وموسى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وعن الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]. وعلينا أن نعلم أن القرآن قد جاء مهيمناً على هذه الكتب، فنؤمن بهذه الكتب بأسمائها؛ لأن الله أخبرنا عنها في كتابه، ولا يجوز أبداً أن نثبت كتاباً لله عز وجل غير ما أخبرنا عنه في كتابه.

عباد الله: ويجب علينا جميعاً أن نعتقد ونؤمن أن هذه الكتب السماوية جميعها جاءت بالحق والهدى والنور، وأنها جميعها تأمر بتوحيد الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وفي ألوهيته، فمثلاً أخبرنا الله ﷻ في القرآن أنه أنزل التوراة على موسى فيها هدى ونور، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وأخبرنا الله في القرآن أنه أنزل الإنجيل على عيسى فيه هدى ونور، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

ومع هذا نؤمن كذلك أن الله أنزل القرآن العظيم مهيمناً على هذه الكتب ومصدقاً لما جاء فيها قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

ونؤمن أيضاً بأن الله ﷻ حفظ هذا القرآن من التبديل والتحريف؛ لأن القرآن هو دستور الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

عباد الله: ونؤمن أن ما وقع في الكتب السماوية عدا القرآن من التحريف والتبديل إنما هو من فعل البشر وما أنزل الله به من سلطان.

فمثلاً: ما وقع في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل إنما هو من فعل اليهود والنصارى، والله ﷻ أخبرنا في كتابه أن اليهود حرَّفوا

التوراة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، إذاً التحريف الذي وقع في التوراة هو من صنع اليهود.

وكذلك أخبرنا الله في كتابه أن النصارى حرَّفوا الإنجيل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

إذاً جاءت كل الكتب السماوية بالحق والهدى والنور تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك.

عباد الله: ومن التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وأن النصارى قالت: المسيح ابن الله، والله ﷻ كذّبهم في القرآن وبيّن لهم العقيدة الصحيحة في ذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]. فكذبهم الله بما قالوا: إذ نسبوا إليه الولد، فتعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

ومن التحريف والتبديل الذي أوقعته النصارى في الإنجيل أنهم

قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم فكذّبهم الله، ورد عليهم ما قالوا وكفَّرهم بما قالوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ومما حرّفته النصارى أيضاً قولهم: إنَّ الله ثالث ثلاثة، فكفّرهم الله بقولهم ذلك؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

والله ﷻ صوَّب ما قالوا في كتابه، وبيَّن أنه ما اتخذ ولداً ولا صاحبة، وأن عيسى ابن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنه عبد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وعيسى عليه السلام قال لقومه: اعبدوا الله ربي وربكم؛ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.

إخوة الإسلام: لا يوجد على وجه الأرض كتابٌ خالٍ من التحريف والتبديل إلا القرآن، فاحمدوا الله ﷻ أن جعلكم من أمة القرآن، واسألوا الله أن يحفظكم بالقرآن، ويحفظ لكم القرآن، ومع القرآن ـ إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية ـ نعيش في الجمعة القادمة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن

اللّهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار،

لعلك ترضى يا ذا الجلال والإكرام



مع القرآن الكريم

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الأصل الثالث من أصول العقيدة وهو الإيمان بالكتب السماوية، وقلنا: إن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، وقلنا: إن من كفر بهذه الكتب أو بواحدٍ منها، فقد كفر بالله تعالى وخرج عن ملة الإسلام.

لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقلنا: إنه يجب على المؤمن أن يؤمن بكل الكتب السماوية ما علم منها وما لم يعلم، وأن يؤمن كذلك بما ذكر لنا في القرآن؛ كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل، ويجب على المؤمن أيضاً أن يؤمن بأن هذه الكتب جاءت جميعها بالحق والهدى والنور إلى الناس، وأن ما وقع فيها من التحريف والتبديل إنما هو من فعل البشر.

ومِنْ ذلك ما وقع في التوراة من تحريف وتبديل فهو من فعل اليهود، وما وقع في الإنجيل من تحريف وتبديل فهو من فعل النصارى، وقد بيّن الله لنا ذلك في القرآن، وبيّن ما حرَّفوه، وأنزل الصحيح في الكتاب الذي بين أيدينا وهو القرآن الكريم.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع القرآن الكريم.

أمة الإسلام: نُبيّن الآن عقيدتنا في القرآن الكريم، والتي نَدين لله بها ونموت عليها إن شاء الله:

أولاً: نؤمن أن القرآن الذي بين أيدينا هو الكتاب الوحيد الذي لم يصله التبديل أو التحريف، أو التغير، أو الزيادة أو النقصان؛ لأن الله ﷻ تعهَّد أن يحفظه بنفسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

فعقيدتنا أن القرآن الذي بين أيدينا والذي يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس جميعه هو كلام الله، ولا يستطيع أحد أيّاً كان أن يزيد عليه حرفاً أو آية وإن فعل؛ فإن حفّاظ القرآن في كل مكان يردون عليه ما يقول، فقد منَّ الله ﷻ على كثير من عباده المؤمنين بحفظ كلامه في صدورهم وهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فالحمد لله الذي حفظ لنا القرآن، وإلا لأصبح عندنا كما عند اليهود والنصارى الكثير من نسخ القرآن، ولكن والحمد لله إذا ذهبت إلى أي مكان في الدنيا تجد أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفسُهُ محفوظ بحفظ الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: نؤمن أن القرآن هو الكتاب الوحيد الهادي للناس جميعاً في كل زمان ومكان، فالتوراة نزلت لليهود فقط، والإنجيل نزل للنصارى فقط، ولكن القرآن نزل للبشرية بأسرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ بل نزل للإنس والجن، وأما أولئك الذين يقولون: إن تحكيم القرآن لا يصلح لهذا العصر بما فيه من تقدم وحضارة!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

قال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

ثالثاً: أننا نعتقد (أنه كلام الله بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر)(١).

رابعاً: نعتقد أنه كلام الله نزل به جبريل الأمين على رسولنا ﷺ الصادق الأمين بلسان عربي مبين، ليقوم رسول الله ﷺ بتبليغه للناس أجمعين استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]. فالقرآن ما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون فإنهم عن السمع لمعزولون.

خامساً: ونعتقد أن في القرآن نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من قال بالقرآن صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرْ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

سادساً: نعتقد أن من تمسّك به وعمل بمقتضاه فلا يضل في الدنيا أبداً، ولا يشقى في الآخرة، ومن تركه وأعرض عنه عاش في الدنيا عيشة ضنكاً، وحُشر يوم القيامة أعمى.

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص٢٤).

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(١)].

سابعاً: أنه نور نزل من عند الله لينقل البشرية من الظلمات إلى النور. فالبشرية في ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمات الجهل، ظلمات الشرك، ولا يخرجون من هذه الظلمات إلا بالقرآن الكريم الذي لا غنى له عن السنّة بفهم سلف الأمة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فأين تذهبون يا أمة الإسلام، أين تركضون؟ أخلف حضارة الكفار تركضون؟!.

ثامناً: أنه يهدي إلى أقوم الطرق: في العقيدة، والعبادات، والأحكام، والمعاملات، والأخلاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

تاسعاً: أنه إذا قرىء في بيت طرد الشياطين منه، قال ﷺ: «**لا**

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[(١)].

عاشراً: أنه إذا قُرِىء نزلت لسماعه الملائكة، قال ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن العبد إذا تسوّك ثم قام يُصلّي، قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه ـ أو كلمة نحوها ـ حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهّروا أفواهكم للقرآن**»[(٣)].

الحادي عشر: أن مَن تعلّمه، وعلّمه للناس ـ يبتغي به وجه الله لا يريد به رياءً ولا سمعة ـ كان من خير الناس.

قال ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[(٤)].

ومن عمل به وتمسك به رفع الله منزلته على الناس، قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**»[(٥)]، والدليل أيضاً على أن الله يرفع به أقواماً:

قوله ﷺ: «**يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله..**»[(٦)].

وقوله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[(٧)].

---

(١) **صحيح**: م: (٧٨٠). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).
(٣) **حسن صحيح**: بز: (٢/ ٢١٤)، عب: (٢/ ٤٨٧)، هب: (٢/ ٣٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢١٥)].
(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩). (٥) **صحيح**: م: (٨١٧).
(٦) **صحيح**: م: (٦٧٣).
(٧) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ش: (٦/ ١٣١)، [«ص.ج» (٨١٢٢)].

عباد الله: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. لماذا أنزله الله إلينا؟ ليقرأ على المقابر؟! ليقرأ على الأموات؟! ليقدم هدية في المناسبات؟! ليقبَّل قبل القراءة وبعدها؟!.

الجواب: لا، ولكن ليُنذر من كان حياً، فهو دستورٌ ومنهاجٌ للحياة، ولذلك فإن الصحابة لما تمسّكوا وعملوا بالقرآن أعزهم الله بالقرآن، أما نحن فقد تركنا القرآن وراءنا ظِهْرِيّاً وأقبلنا على الدنيا وعلى المفسديون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

تذكّروا أن الرسول ﷺ يشتكي ويقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

إخوة الإسلام: كلٌّ منا ينظر إلى المفسديون في بيته، وإلى القرآن، أيُّهما يُهتم به أكثر؟ أَيهما هو أكثر عكوفاً عليه؟ أيهما يدفع عليه مالاً أكثر؟ إلى أيهما يستجيب؟ لو سألتم لوجدتم أن الأمة الإسلامية عكفت وأقبلت على المفسديون أكثر من كتاب الله، فانتظروا الدمار الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، إن لم نعد إلى كتاب ربنا قال ﷺ: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحلَّيتم مصاحفكم، فالدمار عليكم**»(١).

ما واجبنا نحو القرآن؟

١ ـ أَنْ نفهم ما جاء فيه وَأَنْ نتدبّره.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، فالتذكّر يأتي بعد التدبّر، لكن كثير من المسلمين يقرأ القرآن ويقبِّله ويدَّعي أنه من أهله، لكنك تراه يقرأ آيات الربا ولا ينتهي عن الربا، ويقرأ آيات التبرج ويسمح لامرأته بالتبرج، يقرأ آيات الحجاب ولا يأمر بالحجاب...، وقد عاب الله على من لا يتدبّرون

(١) **حسن:** عب: (٣/ ١٥٤)، [«ص.ج» (٥٨٥)].

القرآن فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

٢ ـ على المؤمنين أن يعملوا بالقرآن، فإذا أمرهم اللهُ فيه ائتمروا، وإذا نهاهم انتهوا.

انظروا إلى الصحابة الذين فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها لما نزلت آيات الخمر، وكانوا يشربونها ويخزنوها في بيوتهم، فلما نزلت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أراقوا الكؤوس من أيديهم على الأرض، وسكبوا ما عندهم وقالوا: انتهينا ربنا.

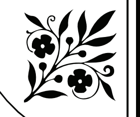
ولما نزلت آية الحجاب فقرأها الرسول ﷺ على الصحابة، ثم رجعوا إلى بيوتهم فقرأ كل منهم الآية على ابنته وزوجته وأمه وأخته احتجبن جميعاً.

فمتى نعود إلى كتاب ربنا؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

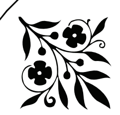
اللّهم ردّ المسلمين إلى كتابك ردّاً جميلاً
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

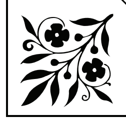
* * *

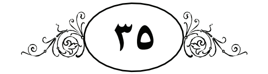


الأصل الرابع

الإيمان بالرسل







الإيمان بالرسل

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن الإيمان بالكتب السماوية وقلنا: إن الله ﷻ أنزل هذه الكتب فيها الهدى والنور لترشد إلى طريق النجاة. وقلنا: إن ما وقع في هذه الكتب من التغيير والتبديل هو من فعل البشر كما وقع في التوراة وهو من فعل اليهود، وكما وقع في الإنجيل وهو من فعل النصارى، وقد بيَّن الله في كتابه العزيز ما أوقعوه من التحريف والتبديل. وقلنا في الجمعة الماضية: إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الخالي من التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان؛ لأن الله ﷻ تكفّل بحفظ القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقلنا أيضاً: إن هذا القرآن هو كلام الله وليس بمخلوق، من الله بدأ، وإليه يعود، أنزله الله بواسطة جبريل الأمين على قلب نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين؛ ليكون به من المنذرين. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ونزل هذا القرآن كما قلنا: لينقل الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور لا ليُقرأ على الأموات، ولا ليُقرأ على المقابر، ولا ليقدم كهدية في المناسبات، إنما هو منهج حياة للبشرية يسعدون بتطبيقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقرآن نور لهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم مع الأصل الرابع من أصول العقيدة، ألا وهو الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ لمّا سُئل عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

عباد الله: الكفر بالرسل هو كفر بالله تعالى، وضلال بعيد؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿... وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فمن آمن بالله وملائكته وكتبه، وآمن بالحساب والبعث والنشور، ولكن كفر بالرسل، فهو كافر بالله خارج عن ملة الإسلام.

ومن آمن برسولٍ وكفر بالآخرين، فهو من الكافرين بنص القرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

ومن كذّب برسولٍ واحد فقد كذّب بكل الرسل، قال ـ تعالى ـ عن قوم نوح: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال ـ تعالى ـ عن قوم هود: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

عن قوم ثمود: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١﴾ [الشعراء: ١٤١].

فمثلاً من آمن بكل الرسل وكفر بموسى، فهو كافر بكل الرسل خارج عن ملة الإسلام، وكذلك حكم من يكذبون بعيسى ومحمد ﷺ. أما نحن معشر المسلمين فإننا نؤمن بكل الرسل بموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وكل الرسل.

إخوة الإسلام: الله ﷻ رحيم بعباده وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل إلى الناس؛ ليبيّنوا لهم طريق الهدى وطريق الضلال، طريق الجنة وطريق النار، طريق الخير وطريق الشر، وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، لأجل ذلك كله أرسل الله ﷻ في كل أمة رسولاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ﴾ [يونس: ٤٧]، ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٥].

إخوة الإسلام: وعقيدتنا معشر المسلمين في الرسل: أنهم من البشر وأنهم ليسوا بآلهة، ولا هم من الملائكة، وإذا كان الأمر كذلك ـ أن الرسل من البشر ـ فهم يمرضون، ويأكلون، ويشربون، ويمشون في الأسواق، ويتزوجون، ويموتون، ويتعرضون للأمراض والمحن والابتلاءات، كما يتعرض إليه سائر البشر.

والدليل من كتاب ربنا على أن الرسل من البشر، قول الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ

على لسان إبراهيم: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾ [الشعراء: ٧٩].

وكذلك فإن الرسل يتزوجون ويتناسلون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «**لكني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني**»(١). وهذا إبراهيم يقول في دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠]، هذا دليل على أن الرسل لهم ذرية، ويعقوب عليه السلام وهو في مرض الموت يدعو أولاده فيقول لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وزكريا عليه السلام الذي قال الله ـ تعالى ـ عنه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨].

وكذلك فإن الرسل يموتون كما يموت البشر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فهذا هو رسولنا ﷺ نام في فراش الموت ووعك وعكاً شديداً، فدخل عليه عبد الله بن مسعود فقال: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً ـ أي: تتألم ـ، فقال ﷺ: «**أجل إني أوعك كما يُوْعَكُ رجلان منكم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٣٢٤)، م: (٢٥٧١).

واذكروا أيوب عليه السلام في مرضه وابتلائه في تلك السنين الطويلة، حتى إن الله عز وجل قال عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

فالأنبياء والرسل يمرضون، ويتعرّضون للبلاء، فمنهم من سُجن مثل يوسف عليه السلام، لبث في السجن بضع سنين، ويونس عليه السلام سجن في بطن الحوت، في سجنٍ ما سجن فيه أحد، وإبراهيم عليه السلام يُقيد بالحديد ويوضع في النار، ورسولنا صلى الله عليه وسلم ضُرب بالحجارة حتى أدميت قدماه.

ومنهم من يتعرضون للمحن والطرد من بلادهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

فإبراهيم عليه السلام يهاجر من أرضه إلى أرض أخرى فراراً بدينه.

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يخرج من مكة ـ وهي أحب بقاع الأرض إلى قلبه ـ، ويقول: «**لولا أني أُخرجت منك ما خرجت**»(١).

فعقيدتنا في الأنبياء والرسل أنهم من البشر، ولكن الله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته، فاختار الأنبياء من أفضل وأصدق وأحسن البشر، على خُلق عظيم، اختارهم الله لرسالته وليبلغوا الناس هذا الدين، وهذا عمل لا يقدر عليه إلا الرجال.

إخوة الإسلام:

انفرد الأنبياء والرسل عن البشر ببعض الأمور التي جاءت في الكتاب والسنّة:

أولاً ـ الوحي: اختص الله عز وجل أنبياءه ورسله بأن أوحى إليهم من دون

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٩٢٥)، هـ: (٣٠١٨)، حم: (٤/ ٣٠٥)، [«ص.ج» (٧٠٨٩)].

سائر البشر، قال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧].

والوحي من الله ﷻ لرسله يكون على صور ثلاث، كما ذكر في الآية الكريمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

الصورة الأولى ـ الوحي المباشر من الله ﷻ لرسوله ﷺ:

ويكون ذلك بأن يلقي الله ﷻ في روع النبي ما يريد، فيعلم هذا النبي أن ما يقع في روعه وقلبه إنما هو من الله، أو يأتيه ذلك في المنام كما جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام عندما أُمر بذبح إسماعيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

الصورة الثانية ـ أن يتكلم الله ﷻ مع رسوله من وراء حجاب:

كما فعل ذلك مع موسى عليه السلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وكما فعل ذلك مع رسولنا ﷺ ليلة المعراج.

الصورة الثالثة ـ أن يرسل الله ﷻ ملكاً من الملائكة إلى رسوله من البشر:

كما كان يأتي جبريل عليه السلام بالوحي إلى رسولنا ﷺ، إذاً انفرد الأنبياء عن البشر بأنهم يوحى إليهم، وإذا كان الأمر كذلك فإنهم يطلعون بذلك على بعض أمور الغيب؛ كعذاب القبر، والجنة والنار، وما سيكون يوم القيامة، وهذا مما يوحيه الله إليهم وليس من عند أنفسهم، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله.

ثانياً ـ العصمة: أجمعت الأمة الإسلامية على أن الأنبياء والرسل معصومون في تحمل الرسالة، وفي تبليغ الرسالة، فالله عصمهم فبلّغوا الرسالة كما جاءت من عند الله، وأدّوا الأمانة كما جاءتهم من الله، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى لقوا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

أما ما وقع منهم من أمور تقع من البشر فهي لا تقدح في عصمتهم أبداً، وإنما وقعت منهم لأنهم بشر، ولكنهم ما أخطأوا أبداً في تبليغ الرسالة، ولا في الدعوة إلى الله.

ثالثاً ـ أنهم إذا ناموا تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

يقول ﷺ: «**إنّا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**»(١)، ويقول ﷺ: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**»(٢).

رابعاً ـ أنهم إذا مرضوا مرض الموت خُيِّروا بين الدنيا والآخرة:

يقول ﷺ: («**ما من نبي يمرض إلا خيِّر بين الدنيا والآخرة**»، ـ تقول عائشة رضي الله عنها ـ: وكان في شكواه ـ يعني الرسول ﷺ ـ الذي قُبض فيه أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٦٩]، ـ تقول ـ: فعلمت أنه خُيِّر)(٣). فاختار الرفيق الأعلى.

خامساً ـ أنهم يُدفنون في المكان الذي يموتون فيه:

فما من نبي يموت إلا دفن في المكان الذي مات فيه، ولذلك أجمع الصحابة على دفن الرسول ﷺ في غرفة عائشة؛ لأنه مرض في غرفة عائشة، وقبض فيها فدفن ﷺ في غرفة عائشة.

---

(١) **صحيح**: رواه الإمام مالك في الموطأ (رواية محمد بن الحسن) (١/ ٣٥٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (١/ ١٧١)، [«ص.ج» (٢٢٨٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٧٦).

(٣) **صحيح**: خ: (٤٣١٠).

لتعلموا ـ يا عباد الله ـ أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يدفن في داخل المسجد ولم يُبْنَ المسجد على قبره، وليعلم ذلك الذين يكذبون على الرسول، وليعلموا أيضاً أن الرسول بريء من كل إنسان دُفِنَ في مسجد برضاه، أو أَوصى أن يدفن في مسجد؛ فإن ذلك حرام، قال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

سادساً ـ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء:

قال ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢)، فإذا مات النبي أو الرسول ودفن في الأرض بقي كما هو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعلينا أن نؤمن ونعتقد بأن رسولنا ﷺ بقي كما هو، وهو ميت بجسده كامل في قبره لا تأكل الأرض جسده إلى يوم القيامة.

سابعاً ـ أنهم أحياء في قبورهم:

يقول ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**»(٣)، ويقول ﷺ: «**مررت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**»(٤)، ولكن كيف تكون هذه الحياة؟ الله أعلم، كيف يصلّون؟ الله أعلم، حياة برزخية، عالم غيبي ونحن نؤمن بذلك دون أن نفكر في كيفية هذه الحياة، ولا في كيفية هذه الصلاة؛ فإنها تختلف عن هذه الحياة التي نعيشها. إذاً فالأنبياء والرسل بشر وليسوا آلهة، كما قال بعض الناس عن بعض الرسل: إنه إله، ويوم القيامة يوقف الله ـ جلَّ وعلا ـ هذا الرسول أمام الذين قالوا عنه: إنه إله ـ والله يعلم أنه ما قال لهم: إني إله ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٢٤)، م: (٥٢٩).

(٢) **صحيح**: ن: (١٣٧٤)، هـ: (١٦٣٦)، حم: (٤/٨)، مي: (١٥٧٢)، خز: (١٧٣٣)، ك: (٤/٦٠٤)، طب: (١/٢١٦)، طس: (٥/٩٧)، [«ص.ج» (٢٢١٢)].

(٣) **صحيح**: ع: (٦/١٤٧)، [«ص.ج» (٢٧٩٠)].

(٤) **صحيح**: م: (٢٣٧٥).

مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

وعيسى عليه السلام ما قال، فهو بريء، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام، ثم يموت كما تموت الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، وما من رسول إلا قال: لا أعلم الغيب، ولا أقول: عندي خزائن الله، ولا أقول لكم: إني ملك.

ولكن هناك من جهلة المسلمين الآن من يقول: إن هناك من الأولياء والصالحين من يتحكم في الكون! مع أن الرسول ﷺ ـ وهو أحب الخلق إلى الله ـ يقول: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً! فالرسل ليسوا آلهة ولا ملائكة وإنما هم بشر أرسلهم الله إلى البشر.

نسأل الله العظيم أن يفقِّهنا في ديننا



٣٦

لماذا أَرسل الله الرسل إلى البشرية؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الأصل الرابع من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالرسل، وقلنا: إن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة. وقلنا: إن من كفر برسول واحد فقد كفر بكل الرسل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وقلنا أيضاً: إن الله ﷻ أرسل رسله من البشر، وكانوا جميعاً من الرجال.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الإجابة على سؤال مهم، ألا وهو: **لماذا أرسل الله الرسل إلى البشرية؟**.

أولاً ـ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده:

وهذه هي الوظيفة الأساسية؛ بل هي المهمة الكبرى التي من أجلها أرسل الله الرسل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فما من أمة إلا خلا فيها نذير يقول لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، يا قوم إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون، فهو يدعو

الناس إلى عبادة الله، يعرِّفهم بخالقهم، ويأمرهم أن يعبدوه وحده، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

ثانياً ـ ليبلّغوا الناس دين الله:

فالله ﷻ أوحى إلى رسله بتبليغ الرسالة، فهم يقومون بتبليغها دون زيادة ولا نقصان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

ـ وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا التزم بما نزل من الله على رسوله من كتاب وسنّة صحيحة وبلّغها إلى الناس؛ فإن الله ﷻ يحفظه من الناس، ومن أذى الناس له، ويتولى الدفاع عنه ـ وقال ـ تعالى ـ عن نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى عبادة الله، فقالوا له: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦٠ ـ ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ عن صالح عليه السلام عندما كذبه قومه فأهلكهم الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال ـ تعالى ـ عن شعيب عليه السلام عندما كذبه قومه فأهلكهم الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٩٣﴾ [الأعراف: ٩٣].

فالرسل جميعاً يقولون: لقد بلّغناكم رسالة الله ونصحناكم.

إخوة الإسلام: والبلاغ يحتاج إلى جرأة وشجاعة وتوكل على الله وحده؛ ولذلك وصف ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسله بأنهم لا يخافون إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩].

أمة الإسلام: كيف يبلِّغ الرسول ما أُنْزِل إليه؟:

يكون ذلك بأن يتلو عليهم ما أُنزل إليه من ربه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

ويبيّن الرسول للناس ما نُزِّل إليهم لعلهم يتفكرون، قال ـ تعالى ـ: ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، ويكون بيان الرسول للناس بالقول والعمل والتقرير.

عباد الله: إذا تولى الناس عن الرسول فما على الرسول إلا البلاغ، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

لا إكراه في الدين. الدين أمامكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وما على الرسول إلا البلاغ، وكذلك ما على الدعاة إلا البلاغ، فعليهم أَن يقولوا: هذا هو طريق الجنة، وهذا هو طريق النار، هذا هو طريق الهُدى، وهذا هو طريق الضلال.

ثالثاً ـ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور:

فالناس بدون الرسل في ظلمات بعضها فوق بعض، فالناس في ظلمات الكفر والشرك وظلمات الجهل والضلال. فبيَّن الله أنه أرسل الرسل ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ

صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ينير الطريق لمن أراد أن يسلك طريق الهداية، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦**﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فالرسل جاؤوا إلى البشرية لينقلوهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

فانظروا معي ـ يا عباد الله ـ إلى العالم في هذا الزمان العجيب، فلقد وصل إلى ما وصل من التقدم والحضارة ومع ذلك فالناس يتخبطون في الظلمات، لِمَ؟ لأنهم سلكوا طريقاً غير طريق الرسل؛ لأنهم لم يستجيبوا للرسل؛ فتجد في كل مكان: قتل ودمار وأمراض، لا يدري المقتول لِمَ قُتل؟ ولا يدري القاتل لم قَتَل؟ انتحار، زنا، خمر، ضنك والسبب: أنهم سلكوا طريقاً ابتدعته عقولهم وأفكارهم، فهل تقدموا؟ نعم ولكن فقط في الدنيا، هل هم في سعادة؟ الجواب: لا؛ لأنهم مع تقدُّمهم في الدنيا إلا أن قلوبهم مظلمة فهم في الظلمات يتقلبون.

رابعاً ـ ليبشروهم وينذروهم:

فالله ﷻ أرسل رسله إلى الناس ليبشروا المؤمنين الطائعين بخير الدنيا والآخرة، وينذروا العصاة والمجرمين بعذاب الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٤٨**﴾ [الأنعام: ٤٨].

فالله ﷻ أرسل رسله ليبشروا المؤمنين الطائعين بأن لهم حياة طيبة في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة تكون في ظل الأعمال الصالحة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وكذلك وعد الطائعين بالتمكين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. **هذا في الدنيا**.

أما في الآخرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨]، الحسنى هي: الجنة التي فيها النعيم، وجاء الرسل أيضاً لينذروا العصاة والمجرمين بالضنك في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، والضنك الذي فيه الناسُ اليوم هو بسبب إعراضهم عن طريق رُسُلِ الله، فالرسل ينذروهم ويخوِّفوهم بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، صواعق من الله، زلازل من الله، إنذارات؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله. **هذا في الدنيا**.

أما في الآخرة: فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، فهنيئاً لمن استجاب للرسول فسوف يحيا حياة طيبة ويُمَكَّن

في الأرض، ثم يوم القيامة يفوز بجنة عرضها السمٰوات والأرض. ولقد خاب وخسر من عصى الله ورسوله.

خامساً ـ ليُقيموا حجة الله على الناس؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة: قال ـ تعالى ـ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فمن رحمة الله بعباده، وحتى لا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة، فإنه: ما من أمة إلا خلا فيها نذير، لِمَ؟ لأن الله لو أهلك الناس في الدنيا بعذاب قبل أن يرسل إليهم رسولاً ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

ولكن حتى لا يكون لهم على الله حجة، فما من أمة إلا خلا فيها نذير؛ يدعوهم إلى عبادة الله، ولذلك هناك يوم القيامة وفي أرض المحشر ما من أمة تعرض على الحساب إلا ومعها رسولها الذي أُرسل إليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. وإذا أنزل الله عذابه في الدنيا على قوم فإنهم سيعترفون بأنهم هم الظلمة وأَنهم يستحقون من الله ذلك العذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٤، ١٥].

فهم قد اعترفوا في الدنيا أنهم ظلمة؛ لأنهم أعرضوا عن طريق رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وهناك على أبواب جهنم وفي جهنم سيندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ٨ ـ ١٠]، وقال ـ تعالى ـ عن

العصاة والمجرمين وهم في النار: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١]، فهم يعترفون في داخل جهنم أن النار أحق بهم من الجنة؛ لأنهم يعلمون أنهم أعرضوا عن رسل الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

إخوة الإسلام: كيف دعا الأنبياء الناس إلى الله؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

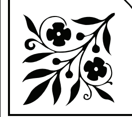
اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله

من نوح إلى عيسى عليهم السلام







مزايا دعوة الرسل عليهم السلام

عباد الله!

قلنا في الجمعة الماضية: إن الله عز وجل أرسل رسله إلى الناس:

أولاً: ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده.

ثانياً: ليبلّغوا دين الله للناس.

ثالثاً: ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

رابعاً: ليبشّروا المؤمنين الطائعين بسعادة الدنيا والآخرة، وينذروا العصاة والمجرمين بعذاب الدنيا.

خامساً: ليقيموا حجة الله على الناس؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ **مع دعوة الرسل**.

عباد الله: ما من أمة إلا خلا فيها نذير أرسله الله عز وجل ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده، ولقد أمرنا الله عز وجل أن نتأسّى بالأنبياء في دعوتهم.

قال ـ تعالى ـ في كتابه بعد أن ذكر أنبياءه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله: ودعوة الأنبياء تمتاز بمزايا أذكرها لكم في هذا الزمن العجيب؛ لأن الذكرى تنفع المؤمنين ولعلنا نعود إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فقد كثرت الفتن والضلالات.

فإليكم منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ودعوتهم تمتاز بما يلي:

○ **أولاً: أن دعوتهم ربانية:**

أي: ليست من عند أنفسهم، ولا من هواهم؛ بل دعوة الأنبياء وحي من الله، فالله ﷻ إذا أرسل رسولاً إلى الناس أوحى إليه برسالة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، ويقول ـ تعالى ـ عن رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

ولذلك عندما دعا الرسول ﷺ أهل مكة إلى عبادة الله وحده، قال الكفار: ائتنا بقرآن غير هذا أو بدّله؛ فقال لهم الرسول ﷺ: لا ينبغي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إليّ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

فالرسول ﷺ لا يستطيع أن يبدل آية مكان آية؛ لأن هذا وحي من الله.

ولما كانت دعوة الأنبياء وحياً من الله فإنهم لا يرضون ولا يقبلون تنازلاً في أمر من أمور الدعوة، لذلك عندما دعا الرسول ﷺ كفار مكة إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام حاولوا أن يقدموا له من أمور الدنيا وهم يظنون أنه سيتخلى بذلك عن دعوته، قالوا له: يا محمد، نجمع لك

مالاً لتصبح أغنانا، وقالوا: نجعلك علينا كبيراً ـ أي: ذا منصب من مناصب الدنيا ـ يا محمد، نزوجك بما تشاء من نساء الدنيا.

فرفض ﷺ ولم يقبل شيئاً من ذلك، لِمَ؟ لأن دعوته وحي من الله. فعادوا إليه ـ يضعون حلاً يُرْضي الطرفين كما يفعل أهل الدنيا ـ يتفاوضون ليقدم كل منهم تنازلاً ليصلوا إلى حلٍّ، ولكن الرسول ﷺ لا يقبل حلاًّ وسطاً ولا تنازلاً. قالوا: يا محمد، نعبد إلٰهك يوماً، وتعبد آلهتنا يوماً آخر! فماذا كان من رسول الله ﷺ؟ جاءَه الوحي من فوق سبع سماوات بالجواب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٤، ٦٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

فهي إذاً دعوة ربانية، يبلغون ما جاءهم به الوحي؛ أي: أنهم لا يفترون على الله كذباً ولا يبدلون ولا يغيِّرون، فإذا أوحى الله ﷻ إلى رسوله: أن الربا حرام، كان واجباً على الرسول أن يبلغ الناس أن الربا حرام، لا يستطيع أبداً أن يقول: هذا النوع من الربا حلال، وهذا حرام، كما نسمع الآن في هذا الزمان الذي يقولون فيه: إن الربا حلال، ويسمّونه بالفوائد، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

فنقول: يا معشر الدعاة، عليكم بالكتاب والسنّة.

قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[١].

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

○ **ثانياً ـ أنهم لا يطلبون أجراً على دعوتهم:**

يا معشر الدعاة، الأنبياء لا يطلبون أجراً، ولا يريدون بدعوتهم دنيا.

فيا ويل من طلب بدعوته مالاً، أو طلب أن يكون وجيهاً عند الناس، فإن الأنبياء كل منهم حرص أن يكون عند الله وجيهاً، فما من نبي جاء إلى قومه إلّا قال بأعلى صوته وعلى الملأ:

يا قوم، لا أسألكم عليه مالاً؛ إن أجري إلا على الله، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٢٩].

وهذا هود يقولها صريحة: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾ [هود: ٥١].

وهذا رسولنا ﷺ يقول الله له: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ [الفرقان: ٥٧].

فالأنبياء جميعاً يطلبون الأجر من الله، ويوم أن أصبحت الدعوة مناصب، وأصبح الداعية لا يدعو إلا بمقابل، فهذا حالنا: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

الدعوة فرض وواجب على كل إنسان بحسب استطاعته، وعليه ألا يأخذ عليها مالاً؛ بل يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، (لِمَ؟)؛ لأن ما في الدنيا ينفد، وما عند الله باقٍ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون.

○ **ثالثاً ـ البساطة في الدعوة وعدم التكلف:**

فالأنبياء يخاطبون الناس على قدر عقولهم ولا يسلكون طرق التعقيد، إنما يسلكون طريق الحكمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وها هو رسولنا ﷺ يقول: وما أنا من المتكلفين.

فلقد كان ﷺ يتلو القرآن على الناس، فيدخلون في دين الله، وكان ﷺ يأتيه الرجل الذي يحب المال فيعطيه مالاً كثيراً فيسلم الرجل ويرجع إلى أهله ويقول لهم: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر.

وهذا إبراهيم عليه السلام في مناظرته مع النمرود، وفي منتهى البساطة يقضي على النمرود من اللحظة الأولى، عندما يخاطب العقل والفطرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالدعوة تسلك طريق الفطرة، بلا تكلفَ، ولا تعقيد.

○ **رابعاً ـ أنها واضحة الغاية والمنهج:**

فهم لا يخفون شيئاً عن الناس كما تفعل كثير من الجماعات.

يقول الرسول للناس: هذه سبيلي أدعو إلى الله.

كما أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالغاية: هي الدعوة إلى الله، لا أدعو إلى حزبية، ولا إلى وطنية، ولا إلى حميَّة، ولا إلى جماعة، إنما أدعو إلى الله على بصيرة؛ على علم أنا ومن اتبعني.

وهذا رسولنا الكريم ﷺ يوضح ذلك عملياً، فيخط خطاً يوماً طويلاً ويقول: هذا سبيل الله الذي نسلكه، ويخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً

قصيرة، ويقول: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، فوضَّح السبيل للملأ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيماً**» قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ . . .﴾ الآية)[١] [الأنعام: ١٥٣]. ووضح ﷺ المنهج الذي علينا أن نسلكه فقال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ما هي يا رسول؟ **قال**: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٢].

وقال ﷺ لأصحابه عندما قالوا له: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا.

قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّرَ عليكم عبدٌ؛ وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[٣].

فوضَّح الرسول ﷺ السبيل، ووضح المنهج، وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

والله عز وجل يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقد رضي الله عن الذين سلكوا سبيله، ورضوا عنه.

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٦٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٣٤٨)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ١١٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، حب: (٨/ ١٥٢)، حل: (٩/ ٢٤٢)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، ك: (١/ ١٧٦)، طب: (١٨/ ٢٤٨)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

○ **خامساً ـ أَنهم لا يتطلعون ـ وهم يدعون الناس ـ إلى الدنيا؛ بل يتطلعون إلى رضى الله والجنة:**

لأنهم إذا تطلعوا إلى الدنيا ركنوا إليها، وتركوا العمل للآخرة، كما هو حالنا الآن ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ وقليل ما هم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

فالدنيا زهرة، والزهرة سرعان ما تذبل.

عباد الله: الدنيا غرَّارة خدَّاعة، ولذلك لما طلب أزواج الرسول ﷺ من رسول الله أن يوسع عليهن في النفقة فقلن: (يا رسول الله، زد لنا في الرزق والعطاء، نريد أن نعيش كما يعيش النساء، فنزل التخيير من فوق سبع سماوات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾)(١) [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

عباد الله: الدنيا كالدابة إذا ركبتها حملتك، وإذا ركبتك قتلتك، فكم من أناس قتلتهم الدنيا؟!.

من الذي يبني على موج البحر داراً ... تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(١) **صحيح**: انظر الحديث بتمامه في: م: (١٤٧٨).

وقال ﷺ: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»(١).

○ **سادساً ـ أنهم يهتمون بعقيدة التوحيد:**

الأنبياء يهتمون أولاً بالعقيدة، وكما نقول ونقول دائماً إلى أن نلقى الله: العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون؛ فما من نبي جاء إلى قومه إلا وهو يدعوهم إلى العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ورسولنا ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا**»(٢).

العقيدة إذا استقرت في القلب صلح الإنسان؛ فإذا أُمِرَ ائتمر وإذا نُهِيَ انتهى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٧٧)، لس: (٢٧٧)، طس: (٩/ ١٢٢)، بز: (٤/ ٣٣٧)، هب: (٧/ ٣١١)، حم: (١/ ٣٩١)، [«ص.ج» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: خز: (١٥٩)، حب: (٦٥٦٢)، ك: (٢/ ٦٦٨)، قط: (٣/ ٤٤)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٤٠١)].

فالذي فسدت عقيدته يذهب ـ مثلاً ـ إلى السحرة والمشعوذين، أما الذي يحمل في قلبه عقيدة صحيحة فلا يذهب أبداً إليهم؛ لأنه يعتقد أن الله هو الذي يعطي ويمنع، وأنه وحده هو الذي يعلم الغيب.

○ **سابعاً ـ أن الأنبياء لا يخالفون بأفعالهم أقوالهم:**

فهم القدوة؛ من أصدق الناس، ومن أتقى الناس، ومن أخشى الناس، وما من نبي إلا وعُرف بالصدق في قومه قبل أن يُنَزَّلَ عليه الوحي.

فرسولنا ﷺ كان يلقب بالصادق الأمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

فالرسول لا يخالف ما يقول، ولذلك نقول: يا معشر الدعاة، لا تخالفوا ما تقولون، فعيب عليك أيها الداعية أن تقول: الربا حرام، وتأكل الربا! عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: حلق اللحية حرام، وتحلق لحيتك!.

عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: التبرج حرام، وزوجتك متبرجة!.

عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: الكذب حرام وأنت تكذب!

عباد الله: هذا منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وهذه المزايا التي امتازت بها دعوتهم.

ولذلك أقول: العالم الإسلامي في هذا الزمان في أمسِّ الحاجة أن يعود إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ولذلك قررنا بعد هذه الذكرى ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أن نتكلم عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ابتداء من الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

نسأل الله العظيم أن يردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله
دعوة نوح عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة الأنبياء وقلنا: إنها تمتاز بمزايا منها:

١ ـ أنها دعوة ربانية بوحي من الله.

٢ ـ أنهم لا يطلبون أجراً على دعوتهم.

٣ ـ أنهم يسلكون في دعوتهم سبيل الحكمة.

٤ ـ أن هدفهم واضح للناس لا غبار عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

٥ ـ أنهم لا يبتغون بدعوتهم زهرة الدنيا، إنما يبتغون بدعوتهم وجه الله والدار الآخرة.

٦ ـ أنهم يُركزون في دعوتهم على عقيدة التوحيد.

٧ ـ أنهم لا يخالفون بأفعالهم أقوالهم.

وقلنا: إن الله عز وجل أمرنا في كتابه أن نسلك منهج الأنبياء.

فقال ـ تعالى ـ لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وأمرنا الله ﷻ أن نتأسّى برسولنا ﷺ في كل شيء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

إخوة الإسلام: الوقت لا يتسع، والعمر قصير فلا نستطيع أن نتكلم عن جميع الأنبياء، ولكننا نكتفي فقط بالحديث عن أُوْلي العزم من الرسل، وهم كما ذكرهم ربنا في كتابه: «محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم».

إخوة الإسلام: وقبل أن نبدأ الحديث عن منهج أُوْلي العزم في الدعوة إلى الله يجب علينا أن نعلم:

١ ـ أن الله ﷻ فضَّل بعض النبيين على بعض:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

٢ ـ وفضَّل الله ﷻ الرسل بعضهم على بعض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٣ ـ جعل الله ﷻ أُولي العزم من الرسل أفضلَ الرسل، وجعل رسولنا ﷺ هو أفضل الأنبياء والرسل أجمعين.

إخوة الإسلام: أمر الله ﷻ رسوله فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وذكر الله لنا في كتابه أن أولي العزم خمسة:

فقال ـ تعالى ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

عباد الله، هؤلاء هم أولوا العزم من الرسل، فضَّلهم الله على جميع الرسل، وفضل رسولنا ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.

فمثلاً: فضَّل الله محمداً ﷺ بأن أرسله إلى الناس كافة.

وفضَّله ﷺ بأَنْ جعله خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفضَّله ﷺ بأنْ أنزل عليه القرآن، فالله ﷻ فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، اصطفاهم واختارهم لحمل رسالاته؛ والله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته.

واعلموا ـ عباد الله ـ: أَن الله فضَّل الأنبياء بعضهم على بعض بما أعطاه لأحدهم دون الآخر، وبما رفع درجة أحدهم على الآخر، ولا يجوز أبداً؛ بل يحرم علينا أن نفاضل بين الأنبياء على وجه التنقيص، فنقول: فلان من الأنبياء أفضل من فلان على وجه التنقيص من فلان، فهذا حرام.

فقد جاءت الأدلة في الأحاديث تحرم ذلك؛ قال ﷺ: «**لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله**»[١].

والتفضيل المنهي عنه هنا هو تفضيل التنقيص أن يُقال: إنَّ فلاناً من الأنبياء خيرٌ من فلان من الأنبياء.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٣٣)، م: (٢٣٧٣).

عباد الله! اعلموا أن الدين عند الله واحد، ومن زعم أن هناك ديانات عند الله يقبلها يوم القيامة غير الإسلام، فقد افترى على الله الكذب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

عباد الله! ومن آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق)[(١)].

جاء نوح عليه السلام بالإسلام وهو من المسلمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

- فنوح جاء بالإسلام، ودعا الناس إلى الإسلام، ومات عليه السلام على الإسلام:

- وإبراهيم عليه السلام جاء بالإسلام لتعلموا أن الدين عند الله هو الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

فمَنْ هذا الكذابُ الذي يزعم أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً؟! فالله يكذبه في القرآن.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

- وكذلك موسى عليه السلام جاء بالإسلام:

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٨٠)، [«س. ص» (٧/ ٢/ ٨٥٤)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

- وعيسى عليه السلام جاء بالإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

- ومحمد ﷺ جاء بالإسلام، وهو من أول المسلمين:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١، ١٢].

- ويوسف عليه السلام قال في دعائه الذي تحفظونه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

والله عز وجل يأمر عباده جميعاً أن يموتوا على الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله، فالدين واحد، وهو الإسلام، وجاء كل نبي إلى قومه بشرعةٍ ومنهاج.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

والله عز وجل أخبرنا في كتابه أنه لا يقبل يوم القيامة ديناً غير الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فيا ويل من مات على غير الإسلام، فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

إخوة الإسلام: كان الناس أمة واحدة من آدم إلى نوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام، كلهم يعبدون الله وحده على فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم بدأ الناس ينحرفون ـ في قوم نوح ـ وبدأ الشرك يدب فيهم، أتدرون لِمَ ـ يا عباد الله ـ؟ بسبب قلة العلم، وكثرة الجهل، والغلو في الأولياء والصالحين، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليردوا الناس إلى عبادة الله، وكان أول رسول أرسل إلى البشرية نوح عليه السلام، وهو من أولي العزم.

أرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح: ١ ـ ٣].

إخوة الإسلام:

كيف دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد؟

أولاً: عندما بعثه الله عز وجل وأرسله إلى قومه جمع قومه وقام فيهم خطيباً، وأخبرهم أنه رسول من رب العالمين؛ أي: أن الذي يقوله وحي من عند الله وليس من عند نفسه، وأخبرهم أَنه لهم ناصح أمين.

فقال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦١، ٦٢]، ويجب على الداعية أن يكون ناصحاً أميناً لمن يدعوهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٠٨].

ثانياً: قال نوح لقومه: لا أطلب منكم مالاً، ولا أجراً على دعوتي، ولا منصباً من مناصب الدنيا.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ [هود: ٢٩]. ويجب على الداعية أَلّا يتطلع بدعوته إلى مالٍ، ولا إلى منصب؛ لأن ما عند الله هو خيرٌ وأَبقى.

ثالثاً: أخبرهم نوح أنه لا يعطي لمن استجاب له مالاً.

كثير من الناس يظن ويعتقد أنه إذا تمسك بالكتاب والسنّة فسيأتيه مالٌ من جهة ما! وهذه دعاية كاذبة، وهذا من كذب الكفار وأعداء الإسلام، لا ـ يا عباد الله ـ من دخل في هذا الدين وتمسك به فلا أجر له إلا عند الله يوم القيامة.

فنوح قال لهم: لا أطلب منكم أجراً على دعوتي، وكذلك لا أعطي أجراً لمن استجاب لي، وبَيَّنَ لهم أنه لا يعلم الغيب، وبَيَّنَ لهم أنه بشر مثلهم وليس بملَك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١].

رابعاً: كان نوح يخوِّف قومه من عذاب الله، ويبيِّن لهم أنه يخاف عليهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال لهم في مكان آخر: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [هود: ٢٦].

وهذا أسلوب في الدعوة، وهو: ترهيب الناس من عذاب الله ليتوبوا إلى الله.

خامساً: ومن أساليب نوح في دعوته أنه كان عليه السلام يلفت أنظار قومه إلى السمٰوات والأرض، وما بينهما، وإلى الشمس والقمر لعلهم يستيقظون من غفلتهم، ويرجعون إلى الله فيعبدوا الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٣ ـ ٢٠].

يذكرهم بآيات الله وقدرته ونعمه، يذكرهم بأيام الله لعلهم يرجعون.

فالله ﷻ خلق السماء بلا عمد ترونها، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم، ولكن إذا لم يتذكروا، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

سادساً: استخدم نوح ﵇ في دعوته أسلوب الترغيب.

يرغب قومه فيما عند الله إن هم استجابوا لله والرسول.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

يرغب قومه بالمغفرة في الآخرة، وببركات السمٰوات والأرض في الدنيا.

عباد الله! بالاستغفار والتوبة والطاعات ينزل الخير من السماء، وبالرقص والغناء والربا وتضييع الصلاة والمعاصي تُحرموا القطر من السماء.

فلماذا حَرَمَنا الله من المطر؟ أمِن كثرة التقوى فينا حيل بيننا وبين المطر!؟.

أتعرفون السبب؟ المعاصي سدَّت الآفاق، بارزنا الله بالمعاصي فحرمنا الله المطر الذي فيه الحياة، فمن على وجه الأرض الآن يستطيع أن يأتينا بالمطر؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالمطر لا ينزل وهم يأكلون الربا ويضيِّعون الصلاة، ويحاربون الله.

عباد الله! الأمرُ يحتاج إلى توبة واستغفار وندم، ونوح عليه السلام دعا قومه إلى أن يستغفروا ربهم لتنزل عليهم البركات من السماء والأرض.

نوح عليه السلام لا يمل ولا يكل في دعوته، يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، لا ييأس أبداً.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: ٥، ٦].

عباد الله! ألف سنة إلا خمسين عاماً ونوح عليه السلام على هذا الحال، يدعو قومه بالليل والنهار، سراً وعلانية، يدعو قومه لا يمل ولا يكل، فماذا كانت النتيجة؟ ماذا قال له قومه؟ ماذا فعلوا به؟ وبماذا اتهموه؟ وماذا كانت نهايتهم؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

اللّهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل المبطلون



٣٩

ماذا قال قوم نوح عليه السلام له؟ وبماذا اتهموه؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة نوح لقومه، وقلنا: إن نوحاً عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يرَ من قومه إلا آذاناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً، وعقولاً متحجرة، فكلما ازداد لهم نصحاً كلما ازدادوا عنه بُعداً، وكلما ذكرهم بالله عز وجل كلما ازدادوا ضلالاً وفساداً، فاسمعوا يا عباد الله إلى نوحٍ عليه السلام وهو يتألم من قومه ويشتكيهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ٥ ـ ١٣].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع نوح، ماذا قال له قومه؟ وبماذا اتهموه؟ وماذا فعل الله بهم؟ ليتذكر أولو الألباب.

أمة الإسلام: بُعث نوح عليه السلام في قومه وهم يعبدون الأصنام، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله وإلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

فماذا قالوا له، وبماذا ردوا عليه؟:

أولاً: ـ لم يستجيبوا لدعوة التوحيد: وأصرّوا واستكبروا استكباراً، أصرّوا على الكفر والعناد.

فقال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

وقال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

ثانياً: ـ هدَّدوه بالرجم إذا لم يتوقف عن دعوته:

فقال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦].

ثالثاً: ـ قالوا له: كيف نتبعُك وأنت بشرٌ مثلنا والذين اتبعوك هم أراذلنا؟!:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

رابعاً: ـ اتهموه أَنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم؛ أي: أن يأخذ ما في أيديهم:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤].

إخوة الإسلام: وبماذا اتهموه؟.

أولاً: ـ بالضلال:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف: ٦٠ ـ ٦١].

ثانياً: ـ بالكذب:

قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء: ١١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٤].

ثالثاً: ـ بالجنون: قالوا: هذا رجل مجنون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: ٢٥].

رابعاً: ـ بكثرة الكلام والجدال:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢].

عباد الله: هذا ما قالوه في حقه، وبهذا اتهموه، ونوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم، ومع ذلك لم يسمعوا له، ولم ينظروا إليه، وعادوه؛ بل كان أحدهم يوصي ولده فيما بعده فيقول له: يا ولدي، إياك إياك أن تتبع هذا الرجل، وهو يشير إلى نوح، فلما نظر إلى ما فعلوا تألم عليه السلام ووقف يشتكيهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥ ـ ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨].

وقال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠].

فأوحى الله ﷻ إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود: ٣٦].

وما آمن مع نوح إلا قليل، فلما عرف نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا ربه أن ينتقم من الكفرة، وأن ينتقم من الظلمة والجبابرة، وسجلت دعوته في القرآن تتلى إلى يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فدعا عليهم، ونحن نرجو وندعو الله ﷻ أن يدخل الكفار في دين الإسلام، وأن ينجوا بإسلامهم من عذاب الله، ولكن إذا أصرّوا على العناد وحاربوا الإسلام والمسلمين، فنحن نقول مثل ما قال نوح: ربَّنا لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً.

واستجاب الله لعبده نوح؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات: ٧٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

فاستجاب الله لعبده نوح فلم يذر على الأرض من الكافرين دياراً.

عباد الله: أوحى الله ﷻ إلى عبده نوح أن يصنع سفينة النجاة، وبوحي من الله وأمرٍ منه سبحانه أخذ يصنع السفينة، كلما مر عليه قومه

قالوا بسخرية: يا نوح، بالأمس كنت نبياً تدعو إلى الله، واليوم نجار تصنع السفن؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٧ ـ ٣٩].

عباد الله: وأوحى الله ﷻ إلى عبده نوح بعلامة وأمره إذا ظهرت أن يركب في السفينة هو ومن آمن معه، وأن يأخذ من كلٍّ زوجين اثنين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠].

وأمر الله ﷻ عبدَه نوحاً أن يذكر الله ﷻ هو ومن آمن معه إذا ما ركبوا في السفينة، وأن يحمدوا الله ﷻ أن نجاهم من القوم الظالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

إخوة الإسلام: صنع نوح عليه السلام السفينة، وتجهز هو ومن آمن معه، فلما فار التنور ركبوا في السفينة، وجاء أمر الله، وفار التنور وبدأ الماء يخرج من الأرض، وينهمر من السماء وركب نوح هو ومن آمن معه في السفينة، وأخذ معه من كلٍّ زوجين اثنين.

عباد الله! انظروا إلى سنّة الله في الظلمة والكافرين، كيف يأخذهم وينتقم منهم ليتذكر أولو الألباب، فالسماء تنهمر بالماء، والأرض تنبع بالماء، وها هو نوح في السفينة، والكفار قد بغتهم الماء فهم يركضون في كل مكان، فهذا يركض إلى جبل يعصمه من الماء، وهذا يدخل حصناً حصيناً لينجو من الغرق، ولكن هيهات هيهات، ولات حين مناص.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

عباد الله! ولنستمع إلى كلام ربنا وهو يصور لنا هذا المشهد، ويصور لنا كيف أخذ الله المكذبين وانتقم منهم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ٩ ـ ١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤١ ـ ٤٣].

أمة الإسلام: وهكذا دَمَّر الله ديار الكفرة، وأغرق من كان على الأرض من الكافرين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

عباد الله: الماء مِنْ جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١]، أهلك الله به قوم نوح وأغرق به فرعون، فنجّى موسى ومَنْ آمنَ معه، وثبَّتَ به الأرض تحت أقدام المؤمنين يوم بدر.

عباد الله: فمتى عدنا إلى الله، ورجعنا إلى ديننا سخَّر لنا مِنْ جنوده ما يشاء ليقاتل معنا أعداء الله.. فمتى نرجع إلى الله؟.

أما الذين آمنوا مع نوح: فقد قال الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم

مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٨، ٤٩].

أمة الإسلام: ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ من دعوة نوح لقومه؟.

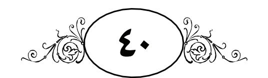
هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة، إن شاء الله.

ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁



الدروس والعبر المستفادة من دعوة نوح عليه السلام لقومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن قوم نوح، وتبين لنا ماذا قالوا لنبيهم، وبماذا اتهموه، وماذا كانت نهايتهم.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم مع الدروس والعبر التي تؤخذ من دعوة نوح لقومه.

أمة الإسلام: دعوة نوح عليه السلام مع قومه فيها من العبر والعظات ما لا يعلمه إلا الله، فيجب على المسلمين أن يقفوا أمام هذه القصة ليأخذوا بما فيها من العبر والعظات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

أولاً: يجب على الداعية أن يصبر على دعوته للناس، ولا يلتفت أبداً إلى النتائج:

فنوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، يبتغي الأجر من الله وحده، ولا يلتفت إلى النتائج، ولو التفت إلى النتائج لتوقف، ولكنه ما توقف عن دعوته لقومه إلا بعد أن أوحى الله إليه: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

ولقد أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله محمداً ﷺ بالصبر.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠].

وأمرنا الله في كتابه بالصبر أيضاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أمة الإسلام: الداعية ينجح بالصبر في دعوته، ويخسر نفسه ومن حوله بالاستعجال والتسرع في دعوته، لذلك نهى ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله ﷺ عن الاستعجال والتسرع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧].

احذر يا رسول الله أن يستخفنك الذين لا يوقنون، فيدفعونك إلى الاستعجال فتستعجل، واحذروا يا دعاة الإسلام من التسرع والاستعجال.

وقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أين نحن من هذه الآيات؟!.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨].

كيونس عليه السلام الذي خرج من بين قومه فسجنه الله في بطن الحوت.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤].

ورسولنا ﷺ ربَّى أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

عن أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1]. فيا دعاة الإسلام، احذروا الاستعجال، ويا شباب الإسلام، احذروا دعاة الاستعجال، فكفانا ما وصلت إليه الأمة، وإن الذين يستعجلون يقطفون الثمار قبل نضجها فيضيعون الجهد والوقت والمال، والقاعدة الشرعية تقول: «**من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه**».

وهذا لقمان الحكيم يربّي ولده ويقول: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

ونوح عليه السلام ـ الذي نحن في صدد الحديث عنه ـ مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه بالليل والنهار، ولم يتعجل أبداً حتى أوحى الله إليه: أنه لن يؤمن من قومك إلامن قد آمن، فدعا عليهم فأهلكهم الله.

ثانياً: على الداعية أن يستمد قوته من الله وحده، وذلك بتوكله على الله:

فالتوكل على الله قوة، والمتوكل على الله أمة ولو كان وحده.

• فهذا نوح ضرب لنا مثلاً أعلى في التوكل على الله، فها هو يقفُ وحده في وجه الكفرة بقوة وثقة ويقول لهم: إني توكلت على الله، فأجمعوا أمركم واستعدوا بقوتكم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

هل استطاعوا أن يفعلوا به شيئاً؟ ما استطاعوا.

• وهذا هود عليه السلام ضرب أيضاً لنا مثلاً أعلى في التوكل.

يقول الله عز وجل على لسانه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

ولذلك أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله أن يتوكل على الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب: ١ ـ ٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا

كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٨].

أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن من توكل على الله فهو حسبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

فهو حسبه؛ أي: كافيه، وناصره، وحاميه، فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوكل عليه.

ثالثاً: حصول العزة والنصر والنجاة والتمكين للمؤمنين ولو كانوا قلة، والدمار والهلاك والهزيمة للكفار ولو كانوا كثرة:

قال ـ تعالى ـ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فهذا نوح عليه السلام مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه، وما آمن معه إلا قليل، فماذا كانت النتيجة؟ ولمن كانت العاقبة؟!.

نجَّى الله نوحاً والذين آمنوا معه وهم قلة، وأهلك الله الكافرين وهم كثرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

ولذلك عندما نَجّىٰ الله عز وجل نوحاً ومن معه أخبر: أن في ذلك لآية لمن أراد أن يعتبر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أمة الإسلام! أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين.

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم بدر وهم أذلة؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم الأحزاب؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

عباد الله! كيف رد الله تعالى الكافرين؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم حنين؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

عباد الله! أعرفتم أن النصر من عند الله، وليس من الشرق ولا من الغرب!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

رابعاً: أن المؤمن ينجو من عذاب الله وإن كان عبداً حبشياً، والكافر يهلك بعذاب الله وإن كان ابناً لنبي من الأنبياء:

فهذا نوح عليه السلام قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

فرفض وانضم إلى الكافرين فهلك مع الكافرين.

فيا ويل من أحب الكفار أو تشبه بهم أو والاهم.

ونوح عليه السلام يقول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٧].

أي: يا نوح، إنه ليس من أهل إيمانك؛ فالإيمان هو الذي ينجي، والرابطة بيننا هي الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠]، والخيانة هنا خيانة كُفرٍ إنها زوجة نبيٍّ! نعم، ولكنها في النار بسبب كفرها، ولم ينفعها كونها زوجة نبي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣١، ٣٢]. ورسولنا ﷺ يقول: «**يا فاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً**»(١).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٩٣)، م: (٢٠٦).

عباد الله: يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

خامساً: أن الصور والتماثيل سبب من أسباب وقوع الناس في الشرك:

من آدم إلى نوح والناس على التوحيد، حتى دبَّ الشرك في قوم نوح بسبب الصور والتماثيل.

فليعتبر الذين يصورون الأعراس في ليلة العرس للذكرى!.

وليعتبر الذي يعلق صورة والده وأمه للذكرى! واسمعوا وعوا يا عباد الله.

يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: ٢١ ـ ٢٤].

روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فقال عن هذه الآلهة المزعومة هي: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنسَّخ العلم عُبدت)[١]. ثم انتقلت هذه الأصنام إلى العرب فيما بعد.

ولذلك حرَّم الإسلام الصور والتماثيل؛ سداً لباب الشرك.

قال ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦١٦)، م: (٢١٠٧).

وقال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١).

وقال ﷺ: «**من صوَّر صورةً عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها، وليس بنافخ، ومن تحلَّم كُلِّف أن يعقد شعيرتين وليس بعاقد، ومن استمع إلى حديث قوم يفرون منه، صُبَّ في أذنيه الآنُكُ يوم القيامة**»(٢).

وقال ﷺ عن الذين يصورون هذه الصور: «**أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة**»(٣).

ولعن رسول الله ﷺ: «**آكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور**»(٤).

وقال ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثةٍ: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»(٥).

فيا أخا الإسلام! إن كنت ولا بد فاعلاً وتحبُ أَن تصوِّر، فعليك بما ليس له روح كالمناظر الطبيعية، ويا أيها المتصور إن كنت لا بد فاعلاً فللضرورة فقط، وربما يقول قائل: وهل يعقل أن نعبد هذه الصور والتماثيل ونحن في القرن العشرين، قرن التقدم والحضارة، كما يزعمون؟!.

نقول: يا أخا الإسلام، في قرن الحضارة والتقدم هناك من يعبدون البقر، مع أنهم بلغوا القمر، وهناك من يعبدون النار، وهناك من ينكرون الله عز وجل.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: د: (٥٠٢٤)، حم: (١/٢١٦)، حب: (٥٦٨٦)، هب: (٤/٢١٣)، [«ص.ج» (٦٣٧٠)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨). (٤) **صحيح**: خ: (٥٦١٧).

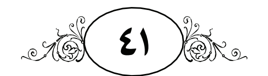
(٥) صحيح: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/٣٣٦)، هب: (٥/١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].

فالإسلام حرم الصور والتماثيل إلا ما اضطررتم إليه، فالضرورات تبيح المحظورات والضرورات تقدر بقدرها.

إخوة الإسلام! وبهذا نكون قد أنهينا الحديث عن دعوة نوح مع قومه.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه





٢ ـ دعوة إبراهيم عليه السلام

عباد الله!

تكلمنا في الجمع الماضية عن نوح عليه السلام، وعن صبره في الدعوة إلى الله، وتبيّن لنا كيف صبر على دعوته مع قومه إلى التوحيد ألف سنة إلا خمسين عاماً بالليل والنهار سرّاً وجهراً لا يكل ولا يمل، ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل فصبر على منهجه ودعوته، حتى أهلك الله الكافرين ونجَّاه الله هو ومن آمن معه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الرسول الثاني من أولي العزم من الرسل، وهو **خليل الرحمٰن إبراهيم** عليه السلام، أتعرفونه يا أمة الإسلام؟!.

١ ـ إنه أبو الأنبياء، فما من نبي جاء بعده إلا وهو من ذريته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧].

٢ ـ إنه إمام الموحّدين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

٣ ـ إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن كما أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم خليل الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

أمة الإسلام: اعلموا أن إبراهيم عليه السلام كان وحده، ولكنه كان أمة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

واعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً طرفة عين، ولكنه عليه السلام كان حنيفاً مسلماً:

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

عباد الله: أمرنا الله عز وجل في كتابه أن نتبع ملة إبراهيم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥].

وأمر الله عز وجل في كتابه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وأمرنا الله في كتابه أن نتأسّى بإبراهيم عليه السلام **والذين آمنوا معه:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ...﴾ [الممتحنة: ٤].

دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد وإلى (لا إله إلا الله)، فبدأ بأبيه فدعاه إلى التوحيد، ثم دعا قومه إلى عقيدة التوحيد، ثم دعا النمرود وهو طاغية ذلك الزمان ـ وكان يدَّعي الربوبية ـ دعاه إلى التوحيد وناظره.

والله أمرنا أن نتأسّى بإبراهيم عليه السلام في دعوته إلى التوحيد.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ في هذا اليوم لنتعلم من إبراهيم عليه السلام كيف دعا والده إلى عقيدة التوحيد لنتربّى ولنتعلّم كيف ندعو الآباء يا شباب الإسلام.

فيا من يضرب أو يسب والده! ويا من يهجر والده!.

تعالوا بنا لنتعلّم الأدب من إبراهيم عليه السلام وهو يدعو والده الكافر

الذي كان يعبد الأصنام؛ بل كان آزر والدُ إبراهيم هو الذي ينحت الأصنام بيده، ثم يقوم ببيعها إلى الناس، فاسمعوا، هل سبه إبراهيم وشتمه؟ هل ضربه؟ لا، وكيف يفعل ذلك وقد تربّى على (لا إله إلا الله)؟! يخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه عن دعوة إبراهيم عليه السلام لوالده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٥٠].

قرآن كريم علّمنا فيه ربنا كيف ندعو إلى التوحيد.

• آزر ـ يا عباد الله ـ كافرٌ، فانظروا إلىٰ ذلك الذي يعتدي على والده وهو ليس بكافر!.

• آزر كافر وحبه للأصنام أكثر من حبه لإبراهيم! فهو ينحتها بيده ويقوم ببيعها للناس! فيا ليتنا نتأدب بهذا في هذا الزمان العجيب الذي أخذنا فيه الآداب من المفسديون، فضللنا ضلالاً بعيداً.

ويوم تربّى الصحابة على القرآن والسنّة فتحوا العالم.

ويوم أن تركنا الكتاب والسنّة وتربّينا على شاشات المفسديون ضيّعنا العالم، وسلّمنا العالم، وسقطت بلاد الإسلام بلدة تلو الأخرى في أيدي الكفار ونحن أكثر منهم عدداً، ولكننا غثاء كغثاء السيل.

عباد الله! قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

﴿٤١﴾ [مريم: ٤١]، وصف الله إبراهيم بالصدق قبل أن يصفه بالنبوة، وما أرسل سبحانه وتعالى نبياً إلّا كان متصفاً بالصدق أميناً، صدق في العقيدة والإيمان والدعوة، فكان إبراهيم عليه السلام صادقاً قبل النبوة وبعدها ـ ورسولنا صلى الله عليه وسلم كان يلقب قبل النبوة بين الناس بالصادق الأمين ـ ولقد كان إبراهيم صادقاً في دعوته لأبيه، وكان يريد من أبيه أن يترك عبادة الأصنام لينجو من عذاب الله.

ثم إنه بدأ دعوته بهذا النداء اللطيف: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ نعم، فهو أبوه وله فضل عليه بعد الله عز وجل في وجوده في هذه الحياة، بهذا النداء يصل إلى قلب أبيه ـ وإذا توصلت إلى قلوب الناس تمكنت منهم وأحبوك، فإن قلت سمعوا لك، أما إذا أبغضوك فروا عنك، ولم يسمعوا لك ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وكيف لا يقول: يا أبت وقد تربّى على دين الإسلام؟!.

- أنسيتم يوسف عليه السلام عندما رأى رؤياه ماذا قال لأبيه يعقوب؟ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

- أنسيتم إسماعيل عندما قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال إسماعيل: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، تربية على دين الإسلام، وعلى (لا إله إلا الله).

فلينظر كل منا إلى أولاده، وإلى التربية التي رُبُّوا عليها، فنحن جئنا بالمفسديون إلى البيت، وهو بالليل والنهار يدمِّر أولادنا، ونساءنا، فأصبحنا نُشبه الكفار في كل شيء في لباسنا، وفي مظهرنا، ونومنا، وأكلنا!.

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾، يريد من أبيه أن يفكر، فإذا فكر انتبه من غفلته. ووالله لو فكر آكل الربا في الربا ما أكل الربا، ولو فكَّرت المتبرجة وعقلت أنها تبيع لحمها لذئاب الشوارع ما تبرجت، ولو فكر المدخِّن أنه يقتل نفسه والله ما دخن.

إبراهيم يريد من أبيه أن يفكر، يا أبت لم تعبد هذه الأصنام التي لا تسمع؟ وآزر يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً، ويعلم أنها لا تراه ولكنه لا يفكر: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

يقول له إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

انظروا إلى العلم، ما قال له: يا أبت أنت رجل جاهل، كما يقول الشباب في هذا الزمان! وما قال له: يا أبت أنا أعلم منك، وإنما هذا الذي أقوله لك يا أبتِ وحيٌ من عند الله! وفي هذا إشارة إلى أن علم التوحيد يهدي إلى صراطٍ مستقيم، فمن تعلم علم التوحيد وعلَّم الناس عِلم التوحيد، هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

للمرة الثالثة يقول له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

فهو يعبد الأصنام، وعبادة الأصنام هي عبادة للشيطان، وكل من دان لغير الله وعبد غير الله فهو عابد للشيطان، وقد أخذ الله على بني آدم العهد ألّا يعبدوا الشيطان ومع ذلك عبدوه، ولذلك يوم القيامة يوبخ الله ﷻ بني آدم على عبادتهم للشيطان:

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٣].

عباد الله! يقول إبراهيم لأبيه للمرة الرابعة: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

يخوِّف والده بأدب: إني أخاف أن ينزل بك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطان ولياً. عباد الله! وإذا اتخذ الإنسان الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

انظروا إلى هذا الوالد الجاهل الذي تربّى على مائدة الأصنام، ما قال له: يا ولدي، كما قال يعقوب ليوسف: يا بني، إنما قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ﴾ [مريم: ٤٦]؛ أي: عن هذه الأصنام، وهذا يدل على أن أعداء دعوة التوحيد موجودون من قديم الزمان، وسيبقون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم هدده بالقتل والطرد من البيت، فماذا قال إبراهيم؟ قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ﴾ [مريم: ٤٧] نعم، إنه من عباد الرحمٰن الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: لا يصلك مني أذى، وذلك طمعاً من إبراهيم أن يهتدي والده إلى الإسلام.

فما كان مِنْ إبراهيم بعد ذلك إلّا أن قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ترك الأصنام ومجالس عُبَّاد الأصنام.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هجرهم وتركهم، أبدله الله أهلاً خيراً من أهله.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]، ورسولنا ﷺ يقول: «**إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله ﷻ، إلّا أعطاك الله خيراً منه**»[1].

فما هي الدروس والعبر التي نأخذها من دعوة إبراهيم لأبيه إلى التوحيد؟.

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٧٨)، هب: (٥/٥٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

أولاً: كيف ندعو آبائنا إلى التوحيد؟:

١ ـ أن يتلطف ويتأدب الولد مع والده، كما سمعنا من خلال دعوة إبراهيم، فهي دعوة صادقة حارة خارجة من القلب نابعة عن خُلق وعقلٍ وأدبٍ قويمٍ.

أنْ يقول الولد لوالده: يا أبت! هذا حرام وهذا هو الدليل، يا أبت! هذا يضر وهذا هو الدليل، بأدب، فإن أصرّوا على المعاصي فلنحسن إليهم في الدنيا، ونتبع سبيل من أناب إلى الله؛ أي: نتبع سبيل المؤمنين والله علّمنا ذلك في سورة لقمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

٢ ـ إذا أمرك الوالد بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فإذا أمرك أبوك أن تحلق لحيتك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا أمرك أن تترك الصلاة في المسجد فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إذا أمرك أن تدخن وتأكل الربا، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إذا أمرت الوالدة ابنتها بالتبرج، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومع ذلك: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

ثانياً: علينا أن نهتم بعقيدة التوحيد:

فنتكلم عن عقيدة التوحيد ونبيّن للناس أن الأصنام التي تُعبد من دون الله لا تسمع ولا تضر ولا تنفع، كما فعل إبراهيم.

فالذي يعبد قبراً أو شمساً أو قمراً أو طاغوتاً أو شيطاناً نقول له: هذه الآلهة المزعومة لا تسمع، فإذا رأيت إنساناً يدعو ولياً في قبر أو ميتاً فقل له: إنه لا يسمع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢]. عباد الله، الميت قد مات فلا يَسمع ولا يَرى ولا ينفع ولا يضر.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

عباد الله، كم من المسلمين يستغيث بغير الله، ويدعو غير الله؟!!.

ثالثاً: أن من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خير منه:

• إبراهيم عليه السلام لما هجر أباه وقومه الكفار أبدله الله ذريةً صالحةً مؤمنةً وجعَل فيهم النبوة.

• ورسولنا ﷺ عندما ترك مكة وأهلها الذين عادوه وآذوه أبدله الله الأنصار في المدينة، نصروه وعزّروه واتبعوا النور الذي جاء معه، ووقفوا معه وأقاموا دولة الإسلام، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه.

• يوسف عليه السلام: لما ترك الزنا مخافةً من الله، ودخل السجن ودعا إلى عقيدة التوحيد في داخل السجن فلما فعل ذلك، أخرجه الله من السجن، ومكَّن له في الأرض.

• موسى عليه السلام: عندما خرج من مصر خائفاً من فرعون منَّ الله عليه وأنزل عليه الرسالة في البلاد التي هاجر إليها، ورزقه زوجة، وأمناً وعملاً عند الرجل الصالح.

فإذا هُجِّرت من بلد إلى بلد لأنك تدعو إلى التوحيد، أو سُجِنْتَ وأُوذيت لأنك تدعو إلى التوحيد، فاعلم بأن الله سيجعل لك مخرجاً، وسيبدلك داراً خيراً من دارك، وأهلاً خيراً من أهلك، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

أسأل الله أن يحفظنا من كيد الكائدين



٤٢

إبراهيم عليه السلام يدعو قومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع **إبراهيم** عليه السلام **وهو يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد.**

عباد الله: دخل إبراهيم عليه السلام على قومه وهم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، فأخذ يدعوهم بلسانه إلى عقيدة التوحيد، فاسمعوا وعوا لنتأسّى به في دعوته فقد أمرنا الله بذلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فانظروا يا دعاة الإسلام، وانظروا يا دعاة العاطفة والاستعجال، هل بدأ إبراهيم أولاً بتغيير الأوضاع الاقتصادية؟ أو بتغيير الفكر، أو أراد أن يفجِّر انقلاباً على الحاكم الطاغي في ذلك الزمان؟ ولو أراد ذلك إبراهيم عليه السلام لوجد الكثير من الناس يلتفون حوله، ويصفقون له، ولكنه بدأ يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد ليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! تعالوا بنا إلى سورة الشعراء ففيها يعلّمنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ كيف ندعو إلى العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

[الشعراء: ٦٩ ـ ٧٤]، هذا هو المقطع الأول من دعوة إبراهيم.

يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾.

أخبر الكفار والمسلمين عن خبر إبراهيم كيف دعا قومه وهم يعبدون الأصنام إلى عقيدة التوحيد لنتأسّى به.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾، سؤال للتقرير، وليس للاستفهام.

فإبراهيم عليه السلام يعلم أن قومه يعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر، وقومه يعلمون ذلك، ولكن إبراهيم عليه السلام يريد أن يقرر قومه بما يعبدون لعلهم ينتبهون من غفلتهم، لعلهم يستيقظون من ضلالهم، يقول لهم: ما تعبدون؟.

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾، يعترفون أنهم يعبدون أصناماً، فيقول إبراهيم: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾، هل هذه الآلهة المزعومة يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ فماذا أجابوا؟ ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾، فاعترفوا أن هذه الآلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ولو كانت تسمع أو تنفع أو تضر لأجابوا؛ بل قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، إنه التقليد الأعمى للآباء والأجداد بلا دليل ولا برهان، والمقلد بلا دليل ولا برهان كالدابة تساق من مكان إلى آخر لا تدري لِمَ سيقت من هنا إلى هناك. التقليد الأعمى هو الذي منعهم أن يستجيبوا لإبراهيم.

لا فَرْقَ بَيْنَ مقلِّدٍ وبهيمةٍ   تنقاد بَيْن دعاثرٍ وجنادلِ

وها هو التقليد الأعمى في زماننا هذا دفع كثيراً من الناس إلى معصية الله.

● كم من الناس أكل الربا بتقليده الأعمى لغيره؟ فهذا اقترض من البنك وبنى بيتاً، فقلده الجاهل الآخر واقترض قرضاً وبنى بيتاً، تقليدٌ أعمى، لا يفكر أهذا حلال أم حرام؟.

• كذلك المفسديون أدخله الجاهل في بيته، فقلده الآخر بلا دليل ولا برهان فأدخله إلى بيته ليأتي بالمنكر من كل بلاد الدنيا ليصب في بيته الفساد صبّاً، تقليد أعمى.

• وكذلك اللباس والتشبه بالكفار، قلدناهم في لباسهم وفي أشكالهم وفي بيوتهم، ولنا مع التقليد الأعمى درسٌ خاصٌ، فكم دفع التقليد الأعمى إلى معصية الله؟! وكم منع التقليد الأعمى الكثير أن يسلكوا سبيل المؤمنين؟! ترى شباباً تحجرت عقولهم يعبدون الله على جهل، وسلكوا سبيلاً غير سبيل المؤمنين، وعندما تقول له: يا أخا الإسلام، هذا خطأ، يقول: شيخي يفعل ذلك! حزبي يفعل ذلك!! أميري يأمرنا بذلك!! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

عبادَ الله! ها هو إبراهيم ﷺ يبين لهم عداءه لهذه الآلهة؛ لأنهم يظنون أنه يخاف منها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٨٩].

عباد الله! قال لهم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ وأخذ يدعوهم إلى عقيدة التوحيد، ويبيّن لهم أن الله الذي يعبده وحده هو الذي يضر وينفع فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾، انظروا ـ يا دعاة الإسلام ـ كيف يدعو إلى التوحيد؟.

• ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ يبيّن

لهم أن القادر على ذلك هو الله وحده وليست الأصنام، أنه الخالق وهو وحده المستحق للعبادة، وكانوا إذا سألوا الكفار: من الذي خلقكم، قالوا: الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

الخالق الرازق المعطي المانع المحيي المميت، أليس وحده هو المستحق للعبادة؟ ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]، ثم يدعو إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد فيبين لهم أن الله وحده هو الذي يسمع الدعاء، وهو الذي يستجيب للداعي إذا دعاه، فدعا ربه أمامهم ليتعلّموا، ولنتعلّم نحن ـ يا عباد الله ـ يا من جعلنا بيننا وبين الله واسطة، فالله عز وجل وحده الذي يجيب المضطر قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾. وإبراهيم يدعو ربه أمام قومه ليتعلّموا أن الذي يستجيب الدعاء هو الله، يدعو الله أن يؤتيه الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] يدعو الله أن يؤتيه علماً نافعاً، كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وألحقني بالصالحين في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

إبراهيم يدعو ربه أن يُلحقه بالصالحين، وهو دعاء يوسف عليه السلام أيضاً عندما قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، ورسولنا صلى الله عليه وسلم عندما خُيِّر عند الموت بين أن يختار الدنيا أو أن يلتحق بالرفيق الأعلى قال: «**بل الرفيق الأعلى**».

• ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ذكرى حسنة في الآخرين، فإبراهيم عليه السلام يُذكَرُ في كتاب الله إلى يوم القيامة، وإبراهيم نذكره في كل

صلاة نصليها لله إذا جلسنا للتشهّد، وإبراهيم يُذكر إذا صلينا على موتانا صلاة الجنازة، ذكرى حسنة، وأمرنا الله أن نتأسّى به في دعوته إلى التوحيد إلى يوم القيامة.

• ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾، إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يدخله الجنة، وجهلة الصوفية في هذا الزمان يقولون: نعبد الله لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، أهم أفقه من إبراهيم عليه السلام؟!! أهم أفقه من رسولنا ﷺ الذي كان لا يسجد إلا ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار.

• ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ فقد وعد أباه أن يستغفر له، ولكن عندما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله تبرّأ منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

• ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الذي يدعو أبو الأنبياء من أولي العزم يخاف من فضيحة يوم القيامة، يوم تبلى السرائر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] يوم الفضيحة الكبرى، هناك يظهر ما في السرائر، هناك من ستره الله فهو المستور، ومن فضحه الله فهو المفضوح، تستطيع الآن أن تخفي في نفسك ما لا تبديهِ، ويوم القيامة يظهر ما أخفيت، فما بالنا وقد بارزنا الله بالمعاصي؟!.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

ثم أخذ ينقل قومه إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة ويبين لهم أن الذين يعبدون الله وحده سيدخلون الجنة، وأن الذين يعبدون الأصنام سيدخلون النار، فإذا دخلوها لعن بعضهم بعضاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ

نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء: ٩٠ ـ ١٠٤].

• ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ قُرِّبت الجنة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تتلألأ لأهلها جعلنا الله وإياكم من أهلها.

والنار قد جاءت وبرزت لأهلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

• ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾، أين الذين كنتم تعبدون من دون الله؟! أين الآلهة؟! ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ جاءت جهنم، ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها؛ أي: أنها ما جاءت إلا لهم، وقيل للمجرمين: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم من النار؟ أو ينتصرون هم من الدخول في النار؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨].

• ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾، فيا ويل من دعا غير الله!! يا ويل من سجد وركع لغير الله! والله سيندم يوم القيامة، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ ـ أيتها الآلهة المزعومة ـ ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ويقولون وهم في النار: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾؛ أي: عودةً إلى الدنيا مرة ثانية لنكون من المؤمنين، ندموا في وقتٍ لا ينفع فيه الندم، لعنَ بعضهم بعضاً في النار، وهل ينفع هذا اللعن؟ اجتمع إبليس مع جنوده في نار جهنم فمن انضم لحزب إبليس خسر الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩]، ولِمَ خسروا؟ لأنهم ألقوا في جهنم وجنودُ إبليس أجمعون.

فيا إخوة الإسلام، دعا قومه إلى عقيدة التوحيد وما استجابوا له، ولكنه استمر؛ لأنه يعلم أن ما عليه إلا البلاغ، ولكن هداية التوفيق من الله وحده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وفي آخر الآيات يقول ربنا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الشعراء: ١٠٣].

لمن أراد أن يذكر ومن أراد أن ينجو من عذاب الله.

إخوة الإسلام! دعا إبراهيم قومه إلى عقيدة التوحيد بيده بأن حطم الأصنام، كيف حطم هذه الأصنام؟ هذا ما نعيش معه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم توفّنا على الإيمان وألحقنا بالصالحين



٤٣

إبراهيم عليه السلام يحطّم الأصنام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع إبراهيم وهو يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد بأسلوب جديد، وقد أمرنا الله أن نتأسّى به، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

إخوة الإسلام: تعالوا بنا إلى سورة الأنبياء في كتاب ربنا لنعيش مع هذه الآيات لنتعلم كيف ندعو إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٥٦].

يخبرنا ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ أنه منَّ على إبراهيم عليه السلام بالعلم والحكمة والهداية والحجة من قبل.

دخل إبراهيم عليه السلام على قومه وهو فتىً، ووجدهم يعكفون على أصنام ينحتونها بأيديهم لا تضر ولا تنفع، فماذا قال لهم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

فبيَّن لهم أن هذه تماثيل لا تضر ولا تنفع، فبماذا أجابوا؟.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾، التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

فقال لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فبيّن لهم أنهم وآباؤهم في ضلال مبين، وبيَّن لهم أنَّ عبادة الأصنام ضلال مبين، ففكروا قليلاً ثم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾، فرد عليهم إبراهيم وقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، فانظروا ـ يا عباد الله ـ إلى الفارق الكبير بين من عبد غير الله وبين من عبد الله.

فهؤلاء عندما قال لهم إبراهيم: أنتم في ضلال مبين، قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟! هم في ريب وشك، أما الذي يعبد الله ﷻ وتمكّن الإيمان والتوحيد من قلبه يقول: بل ربكم الذي خلق السمٰوات والأرض، وبيَّن لهم وقال: وأنا على ذلكم من الشاهدين، فدعاهم إلى التوحيد بلسانه، ولكنه فكر وهو فتى لا يملك إلا نفسه، فكر أن ينتقم من هذه الأصنام التي عُبدت من دون الله حتى إذا وجدوها محطمة تحركت عقولهم وفكروا قليلاً، وعلموا أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً.

فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فسمعه القليل منهم وكانوا في أعيادهم يصنعون الطعام، ويأتون بأطيب الطعام فيضعونه عند الآلهة المزعومة ليُبارَك لهم في الطعام، ثم يذهبون إلى أعيادهم ثم يرجعون إلى الطعام وقد باركت فيه الآلهة ـ بزعمهم ـ. ولما فعلوا ذلك، ذهب إبراهيم إلى أصنامهم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩١ ـ ٩٣]. الطعام أمامهم فقال ـ مخاطباً إياهم ـ: ألا تأكلون، يستهزىء ويسخر مِنْ هذه الآلهة، آلهةٌ تُطْعم!! الإله هو الذي يُطعم خلقه؛ فقال لهم: ألا تأكلون؟ ما لكم لا تنطقون؟ فراغ عليهم ضرباً باليمين قال الله ﷻ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨]، خطة يريد بها وجه الله، يريد من قومه أن يفكروا ويستيقظوا من ضلالهم وغفلتهم فرجعوا من عيدهم إلى الآلهة ليأكلوا الطعام ويعكفوا عند الآلهة

فكانت المفاجأة، وجدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله محطمة في كل مكان، فقالوا جميعاً في صوت واحد: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ومع كَوْنهم رأوها محطمةً، فإنهم ـ لضلالهم ـ لا زالوا يسمونها آلهةً.. فهل بعد هذا الضلال من ضلال!!.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠]، فاجتمعوا وقرروا أن يمكروا بإبراهيم عليه السلام فقالوا: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ [الأنبياء: ٦١].

نجمع الناس من كل مكان، ونأتي بإبراهيم ونسأله: هل هو الذي فعل هذا بآلهتنا؟ وننتقم منه أمام الناس، ليكون عبرة لغيره ولكل من تسوّل له نفسه أن يعتدي على آلهتنا، فجيء بإبراهيم إلى المكان الذي حُطِّمت فيه الأصنام والناس قد اجتمعوا من كل مكان ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢]؟ سؤال لا يتوقعون جوابه أبداً من إبراهيم، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [الأنبياء: ٥١] حكمةٌ، بلاغةٌ، حجةٌ، علمٌ، برهانٌ، شجاعةٌ. فماذا أجاب؟.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣] فألجمهم بالحجة، هو يريد عليه السلام من عقول قومه أن تنتبه وتفكر، اسألوهم من الذي حطمها؟ اسألوا هذا الكبير لعله هو الذي فعل هذا اعتداءً منه عليهم؛ لأنه كبير. اسألوهم إن كانوا ينطقون، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤﴾ [الأنبياء: ٦٤] فرجعوا إلى أنفسهم، وفكروا، وانتبهوا، فقالوا: تعبدون آلهة لا تنفع ولا تضر. ولكن سرعان ما رجعوا إلى الضلال، فعقولهم عفنة، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٥].

فوعظهم ـ وهذا الذي يريده أمام الناس ـ فقال: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٧].

إخوة الإسلام: تصوَّروا هذه العبارات وهي تخرج من إبراهيم وهو فتى

وحده في هذا الجمع، وكلهم يمكرون به، ولو فكروا بعقولهم ما عبدوها، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فما استطاعوا أن يردوا على إبراهيم الحجة بالحجة، ولكنهم أصدروا القرار الجائر فقالوا: اقتلوه، أو حرِّقوه، إما قتل، وإما تحريق بالنار، فأجمعوا وقالوا: نقتله بالحرق في النار ليجمعوا بين الشرين، ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وكان باستطاعتهم أن يأتوا بإبراهيم ويشعلوا في ثيابه النار فيحترق وحده، فإنه كان وحيداً وهم مجتمعون، ولكن الحقد والحسد ملأ قلوبهم على إبراهيم فقالوا: ابنوا له بنياناً عظيماً ثم أشعلوا فيه النيران ثم ألقوا إبراهيم فيه، أما يعلمُ هؤلاء المجانين أن النار جندٌ من جنود الله تحرق بأمر الله ولا تحرق بأمر الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

وفي آية أخرى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨] فهم الأخسرون، وهم في أسفل سافلين، خسروا الدنيا والآخرة؛ لأنهم بقوا على عبادة الأصنام وهم في أسفل سافلين في الدنيا؛ لأنهم نزلوا في منزلة الحيوان، ولكن الحيوان لا يسجد لغير الله، ما سجد لغير الله إلا ابن آدم، سجد وعبد غير الله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]، وهم في الدرك الأسفل من النار، ويوم القيامة يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً.

عباد الله! فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين، وهذا درس نعيش معه، وهو أنَّ المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

عباد الله! من دعا إلى التوحيد فليبشر بسعادة الدنيا والآخرة، فنتائج التوحيد في الدنيا قبل الآخرة عظيمة لكل من دعا الناس لعقيدة التوحيد، ولكل من دان لله بعقيدة التوحيد، ولكل من خرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) سعادة في الدنيا والآخرة.

تعالوا معي إلى إبراهيم عليه السلام الذي دعا قومه إلى (لا إله إلا الله) وأرادوا به كيداً، وأرادوا أن يحرقوه، فماذا فعل الله لإبراهيم عليه السلام؟.

أولاً ـ نجّاه الله من النار:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤].

ثانياً ـ أبدله الله أرضاً خيراً من أرضه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهي أرض الشام، أرض مباركة بارك الله فيها. يا أهل الشام! إن الملائكة تضع أجنحتها على أرض الشام، أما يستحي أهل الشام أن يعصوا الله عز وجل؟!.

خرج من بلده التي كان قومه يعبدون فيها الأصنام في أرض العراق، وأبدله الله أرضاً خيراً من أرضه.

ثالثاً: أبدله الله أهلاً خيراً من أهله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢، ٧٣].

فمنَّ الله على إبراهيم وعلى ذريته أن يكونوا عبيداً لله، وهذه هي

أعلى منازل الإنسان؛ أن يكون عبداً لله، أن يركع لله ويسجد لله.

فإذا كنت تركع للمنصب، وللدينار، وللدنيا، فقد خسرت يا عبد الله.

إذا وجدت نفسك تركع وتسجد لله وتعبد الله وحده، فاعلم أنك في منزلة عالية؛ لأنك أصبحت عبداً لله.

يا دعاة الإسلام! انشغلوا بدعوة التوحيد أولاً، وربُّوا الناس على عقيدة التوحيد، ولا تنشغلوا بالقيل والقال، ولا تقلدوا من لا دين لهم؛ فالله ﷻ جعلكم من خير أمة أخرجت للناس. يا دعاة الإسلام! دعوها فإنها منتنة واحذروا التحزّب والاجتماعات من وراء الجدران، فديننا واضح لا غبار عليه، والله يحفظ دينه ويقيم دولة الإسلام ولكن متى؟ عندما يرى ربنا ـ جلَّ وعلا ـ منا أننا أصبحنا أهلاً لذلك، فلا تنشغلوا بالشيء قبل أوانه، واحذروا الاستعجال؛ فالاستعجال ضيَّع الأمة وفرَّقها، وإلى متى هذا الضلال والبعد عن الكتاب والسنّة؟!.

فهذا كتاب ربنا بين أيدينا وسنة نبينا ﷺ بين أيدينا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

فإن تركنا الكتاب والسنّة ضللنا، وإن تمسكنا بالكتاب والسنّة سرنا على صراط مستقيم، وهذا منهج أصحاب رسول الله، نهجوه وساروا فيه، فوصلوا إلى رضى الله والجنة، ورضي الله عنهم ورضوا عنه.

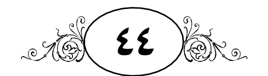
قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].



إبراهيم عليه السلام يناظر قومه

عباد الله!

لا زلنا ـ يا عباد الله ـ في صدد الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى عقيدة التوحيد.

• فإبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عقيدة التوحيد بلسانه، وبيّن لهم أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر.

• ودعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد بيده، فحطم الأصنام التي يعبدونها من دون الله ليبين لهم أنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضراً.

فقال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع إبراهيم عليه السلام وهو **يناظر قومه ويدعوهم في مناظرته إلى عقيدة التوحيد.**

إخوة الإسلام: قوم إبراهيم عليه السلام كانوا في ضلالٍ مبين، كانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، فبيّن لهم إبراهيم عليه السلام أنها لا تنفع ولا تضر، وكانوا أيضاً يعبدون النجوم والكواكب والشمس والقمر، وإبراهيم عليه السلام لا يكل ولا يمل في دعوة قومه إلى التوحيد، فها هو يبيّن لهم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وكذلك ينتقل بهم إلى الكواكب والنجوم، ويبيّن لهم أنها لا تنفع ولا تصلح أبداً أن تكون آلهة تعبد من دون الله.

عباد الله: تعالوا بنا إلى سورة الأنعام، هناك يبيّن لنا ربنا في كتابه

كيف ناظر إبراهيم قومه فأفحمهم وانتصر عليهم، لنتعلم يا أمة الإسلام من إبراهيم عليه السلام كيف ندعو في كل وقت وكل حين إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٧٩].

إبراهيم في هذه الآيات يناظر قومه، وهذا أسلوب بديع من أساليب المناظرة وهو أن يتكلم المناظر بكلامهم وبما هم عليه من باطل، حتى إذا ظهر الباطل أمامهم قذف عليه بالحق فيدمغه فإذا هو زاهق، فإبراهيم عليه السلام استخدم مع قومه هذا الأسلوب فجلس معهم وهم ينتظرون الليل ليعبدوا هذه الآلهة من النجوم والكواكب ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: على زعمهم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ فهو يريد أن يحرك عقول قومه، كيف تعبدون آلهةً تغيب عنكم تارة وتظهر تارة؟! فهذا لا يصلح أن يكون إلهاً ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: على زعمكم يا قوم، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، هو يريد من قومه أن يفكروا هكذا، ولا بد لكل إنسان أن يفكر بعقله الذي منَّ الله عليه به وميزه به عن الحيوانات، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، أي: على زعمكم ﴿هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾، يقول الله عز وجل: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ أي: أخذوا يجادلونه في المجلس؛ لأنه حطم الأصنام وأبطل ما يعتقدونه في النجوم والكواكب، وبيّن لهم أن هذه لا تصلح أبداً أن تكون آلهة تعبد، وحاجّه قومه؛ أي: جادلوه فيما قال.

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ فخوَّفوه من الآلهة، وقالوا: إنها ستؤذيك يا إبراهيم، فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ أي: كيف أخاف من هذه الآلهة المزعومة التي تنحتونها بأيديكم ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً؟ ثم يقول لهم: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي الفريقين أحق بالأمن والأمان: الذين يعبدون الله وحده، أم الذين يعبدون غير الله ويسجدون ويركعون لغير الله؟ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ ـ (أي: بشركٍ) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

عباد الله! إبراهيم عليه السلام ناظر قومه وبيّن لهم بالحجة والبرهان القاطع أن النجوم والكواكب لا تصلح أبداً أن تكون آلهةً تعبدُ؛ لأن الإله لا يغيب عن خلقه أبداً.

إخوة الإسلام! هناك بعض المفسرين في كتب التفسير ظنوا أن إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات كان ناظراً في النجوم يبحث عن إلٰهه وربه، وهذا على زعمهم يدل على أن إبراهيم عليه السلام قبل أن يهتدي إلى ربه كان مشركاً، وهذا كلام باطل ضعيف؛ لأنه يخالف الأدلة من الكتاب والسنّة، ومن باب النصيحة التي هي دائماً بيني وبينكم أردت أن أبيّن الأدلة من الكتاب والسنّة التي تبين لنا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركاً طرفة عين، وأنه في هذه الآيات ـ التي في سورة الأنعام ـ كان مناظراً لقومه وليس ناظراً في النجوم.

الدليل الأول: هذا إبراهيم عليه السلام يخبرنا أنه لم يكن من المشركين أبداً قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

الدليل الثاني: الله ﷻ يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه لم يكن من المشركين طرفة عين، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، فنفى الكون في الماضي والنفي هنا للاستغراق؛ أي: لم يك من المشركين قبل هذه المناظرة طرفة عين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وأمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسولنا ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، والقلب السليم: هو الذي لم يعرف الشرك طرفة عين.

الدليل الثالث: من السنّة.

قال ﷺ: «**كل مولودٍ يُولد على الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانهُ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»(١).

أي يعرف أن الذي خلقه هو الله، ولذلك لو ترك دعاةُ الباطلِ الناسَ وهم صغارٌ على فطرتهم لاتجهوا جميعاً إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده لِمَ؟ لأن الله أخذ هذه الأرواحَ في عالم الغيب من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ فأجابوا جميعاً قائلين: بلى.

إخوة الإسلام! إبراهيم هو أبو الأنبياء، وإمام الموحّدين، وخليل ربّ العالمين، ولم يكن مشركاً طرفة عين.

---

(١) **صحيح**: طب: (١/ ٢٨٣)، ع: (٢/ ٢٤٠)، [«ص.ج» (٤٥٥٩)].

عباد الله! إبراهيم ﷺ يعلّمنا كيف ندعو إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعا والده إلى عقيدة التوحيد، ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد، وناظر قومه ودعاهم من خلال المناظرة إلى عقيدة التوحيد.

وها هو الآن يُطلَبُ إلى النمرود، وهو طاغية يحكم البلاد في ذلك الزمان، وكان يدَّعي الربوبية، فلما سمع عن إبراهيم الذي حطم آلهة القوم استدعاه لمقابلته.

ذهب إبراهيم عليه السلام بما أتاه الله من حجة، ووقف أمامه ليناظره ويبيّن له أن الله وحده هو المستحق للعبادة. فانظروا معي، هل طلب إبراهيم من النمرود أن يتخلّى عن الحكم وقال: أنا أحق بالحكم منك؟ هل طلب إبراهيم من الناس أن يلتفوا حوله ليقضي على هذا الطاغية؟ ـ تعلموا يا دعاة الاستعجال ـ حاشاهُ أن يفعل ذلك؛ لأنه يدعو إلى منهج وإلى العقيدة أولاً.

ثم بعد ذلك تقوم دولة الإسلام إذا أراد الله ذلك ووجد الناسَ أهلاً لأن يقيموا دولة الإسلام.

عبادَ الله! إبراهيم يقف أمام النمرود، والنمرود يجادله ويسأله عن ربه الذي يدعو الناس إليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فلما سأل النمرودُ إبراهيم عليه السلام عن ربه الذي يدعو الناس إليه ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، قال النمرود ـ وهو يريد أن يدجِّل على الأغبياء من شعبه ـ: أنا أُحيي وأميت، فجاء باثنين من السجن، وقد حكم عليهما بالإعدام فعفى عن أحدهما، ونفذ الحكم في الآخر، ثم قال: ها أنا يا إبراهيم أحييت هذا وأمت هذا! وهذا كلام يأْنَفُ الصغار أن يقولوه،

ولكن إبراهيم عليه السلام الذي أتاه الله الحجة والبرهان القاطع ما وقف يجادل النمرود في الإحياء والإماتة، ويبيّن له أن الذي فعلته ليس إحياء ولا إماتة، ولكنه ضرب ما عنده من باطل بما معه من حق وألجمه أمام شعبه.

فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فهل يستطيع أحد من المخلوقات أو من الملائكة أو من الجن أن يأتي بالشمس من المغرب، والله يأتي بها من المشرق؟ الجواب: لا، ولذلك ما استطاع النمرود أن يتكلم فألجمه بالحجة أمام شعبه.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عباد الله: إبراهيم دعا أباه فلم يستجب، ودعا قومه فلم يستجيبوا، ودعا النمرود فلم يستجب، ولكن ما عليه إلا البلاغ، فالداعية لا يملك إلا البلاغ والله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولذلك ـ يا دعاة الإسلام ـ عليكم أن تدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ولكن متى يهتدي الناس؟ الله أعلم، متى تقوم دولة الإسلام؟ الله أعلم، متى يخرج الناس من هذه الظلمات؟ الله أعلم، علينا أن ندعو إلى عقيدة التوحيد، وأن نبيّن للناس: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهذا يحتاج من الدعاة إلى علم ـ أن يدعو الناس على علم ـ فالداعية الذي يعرف كتاب ربه ويعرف سنّة نبيه صلى الله عليه وسلم يعلم أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله منهج واضح، ومن كان على علم بالكتاب والسنّة لا يخرج عن منهج الأنبياء، ولكن الداعية الذي يدعو الناس على جهل فيأخذ عنوان موعظته من جريدة اليوم أو يأخذ خطبته من فيلم ظهر على شاشات المفسديون، فهذا لا يزيد الناس إلا ضلالاً، فكثير من الدعاة يأتي ويقف على المنبر ويتكلم للناس عن أخبار الأسبوع كاملة، والناس يعرفون ذلك؛ بل ربما كثير من الناس يعلمون ذلك ويعلمون أكثر من الداعية في ذلك؛ فهم يسمعون الأخبار ويقرؤون الصحف والجرائد، فيأتي الخطيب ليخبرهم بما يعرفون ويترك الناس لا يعرفون دينهم، فهم يأكلون الربا ونساؤهم تبرجت وأصبحت أشكالهم مثل أشكال الكفار، وبيوتهم مثل بيوت

الكفار، لِمَ؟ لأن الدعاة شغلوهم بما يكون في هذا الوقت ولم يشغلوهم بدينهم! أقول: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنّة والتمسّك بهما، ثم بعد ذلك إذا عدنا إلى الله ونصرنا الله في أنفسنا نصرنا الله على عدونا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩].

عباد الله! بذلك نكون قد انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى عقيدة التوحيد، لنعيش بعد ذلك مع الدروس والعبر التي تؤخذ من منهج إبراهيم ودعوته إلى عقيدة التوحيد.

أسأل الله أن يفقّهنا وإياكم في ديننا

اللّهمَّ ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



٤٥

دروس وعبر مِنْ دعوة إبراهيم عليه السلام

١ ـ التقليد الأعمى

عباد الله!

في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى قومه، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الدرس الأول من الدروس التي تؤخذ من دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

وهو بعنوان: التقليد الأعمى ضلال في الدنيا وندم يوم القيامة.

عباد الله: التقليد في اللغة هو: جَعْلُ القلادة في العنق، يُقال: فلان قلَّد فلاناً؛ أي: جعل القلادة في عنقه.

أمّا التقليد في الشرع فهو: أن يقلّد الرجل غيره في كل شيء بلا دليل ولا برهان، وهذا إبراهيم عليه السلام دعا قومه بالليل والنهار إلى عقيدة التوحيد وبيَّن لهم بالعلم والبرهان والحكمة والحُجة والعقل أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تسمع الدعاء، وحطمها أمامهم ليبيّن لهم أنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً، ومع ذلك لم يستجيبوا له، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟ السبب هو التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

فإبراهيم عليه السلام قال لأبيه وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٠ ـ ٧٤]، تقليد بلا دليل ولا برهان.

وقال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣]، تقليد أعمى للآباء فضلُّوا وأضلُّوا، ولذلك ذمَّ ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه هؤلاء الذين يقلدون بلا دليل ولا برهان.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ [لقمان: ٢١].

أَوَلَو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون؟ نعم.

أَوَلَو كان الذي يدعوهم إلى ذلك هو الشيطان؟ نعم، تقليد أعمى.

أمة الإسلام! التقليد الأعمى مرض خطير أصاب كثيراً من الناس حتى أنهم يقلدون غيرهم بلا دليل ولا برهان في كل شيء، حتى في الفواحش والله أخبرنا بذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨].

كانوا قبل الإسلام يطوفون بالبيت الحرام عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم رجالاً ونساءً، فلما قيل: هذا حرام، قالوا: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، تقليد حتى في الفواحش، نعم وسيظهر لنا الآن أننا قلدنا الكفار في كل شيء حتى في الفواحش.

عباد الله! التقليد الأعمى مرض أصاب الكثير من الأمة الإسلامية، ورسولنا ﷺ أخبرنا بذلك.

قال ﷺ: «**لتتبعنَّ سَنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم**»، قلنا: يا رسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»(١).

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع**»، فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناسُ إلا أولئك**»(٢).

وقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ.

فوالله قد قلّدناهم في كل شيء حتى في الفواحش، وبالمثال يتضح البيان.

أولاً: قلّدنا اليهود والنصارى في بناء المساجد على القبور؛ ففي كثير من بلاد المسلمين في هذا الزمان بُنيت المساجد على القبور تقليداً لليهود والنصارى. ويخبرنا رسولنا ﷺ عن اليهود والنصارى.

يقول ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»(٣).

وقال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٤)، وقد فعلنا مثلهم.

وهناك من الجهلة من يوصي قبل موته أن يدفن في المسجد الذي بناه لله، ومن فعل ذلك أثَمَ وعصى الله ورسوله.

ثانياً ـ قلّدنا الكفار في رفع القبور:

فرفعنا القبور أكثر من شبر، وكتبنا على القبور، وبنينا عليها بالرخام وزرعنا الأشجار والزيتون على المقابر، فانظروا معي ـ عباد الله ـ وواقعنا

(١) **صحيح**: م: (٢٦٦٩). (٢) **صحيح**: خ: (٦٨٨٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).
(٤) **صحيح**: خ: (١٣٢٤)، م: (٥٢٩).